

مهرجان القراءة للجميع

سلسلة التراث

مكتبة
الأسرة
1999

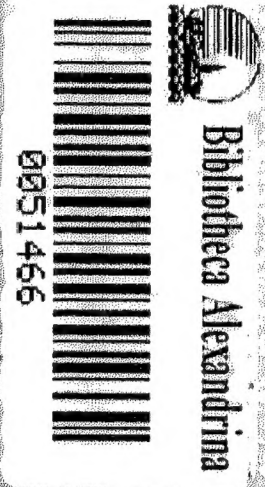
المختار من

تاريخ الطبري

قصة القرامطة من سنة ٢٧٨ - ٣٦٧ هـ



الهيئة المصرية
العامة للكتاب



المختار من تاريخ الطبرى

المختار من
تاريخ الطبري

إعداد وتقديم

د. سمير سرحان د. محمد عناني



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة التراث)

المختار من تاريخ الطبرى

إعداد وتقديم : د. سمير سرحان د. محمد عنانى

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان: محمود الهندى

المشرف العام:

د. سمير سرحان

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام،
وها هي تصدر لعامها السادس على التوالي برعاية كريمة
من السيدة سوزان مبارك تحمل دائماً كل ما يثرى الفكر
والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار
روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع
سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة
بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ التى يتلقفها شبابنا
صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة
سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجل
والأروع والأعظم.

سمير سرحان

تصدير

ما زال كتاب تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبرى المرجع الأول للأحداث التى جرت فى عصره ، وقد سبق لمكتبة الأسرة أن قدمت القصة الكاملة لتاريخ ثورة الزنج والقضاء عليها بعد أن أقضت مضجع الدولة العباسية أربعة عشر عامًا تقريبًا ، وتقدم مكتبة الأسرة فى هذا العام قصة القرامطة من المصدر الأول لها (حتى وفاة الطبرى) ثم تستكمل هذه القصة من ذيل تاريخ الطبرى (أو أحد ذيلوه) وهو كتاب تكملة تاريخ الطبرى لمحمد بن عبد الملك الهمذانى ، حتى عام ٣٦٧ هـ الذى يعتبر النهاية الفعلية لهذه الفتنة التى جرت الأهوال على العالم الإسلامى على مدى ما يقرب من قرن كامل .

ويجد القارئ فى هذه المختارات رصدًا ممتعًا لنشأة حركة القرامطة ، وتطور صراعهم مع الدولة العباسية ، فى إطار أحداث سنوات مختارة نشطوا فيها ، فالجو العام هو الذى تكتمل به الصورة ، وأسلوب الطبرى فريد فى دقته وبراعة وصفه لما يرويه ، فلقد جرى العرف على اعتبار بداية الحركة عام ٢٨٦ هـ (٨٩٩ م) إذ هو العام الذى برز فيه نشاط سعيد بن

الحسن الجنّابى ، ولكن الطبرى يرصد بدايتها فى عام ٢٧٨ هـ أى قبل الشائع بنحو ست سنوات ، وكان سعيد المذكور ذا دعوة إسماعيلية قريبة من مذهب الفاطميين ، وأما التسمية فينسبها الطبرى إلى صاحب الدعوة الأول ، إذ يقول إن اسمه هو (كرميت) التى خففت إلى « قرمط » ، ويذهب بعض الباحثين إلى أن الاسم قد عُرّب لأنه فيما يبدو تركى ، ومن ثم فهو ينطق بفتح القاف وكسر الميم ، وإن كان الشائع غير ذلك . والمعروف أن القرامطة اتخذوا البحرين والإحساء مقراً لنشاطهم ، وكانوا يغيرون على المواقع القريبة منهم ، ثم اجتاحتوا البصرة والكوفة ، ودخلوا مكة وأخذوا الحجر الأسود ، ثم دانت لهم معظم مناطق شرق الجزيرة العربية .

واستمر نشاط القرامطة الذى يصوره الطبرى تصويراً نابضاً بالحياة فى العقود الأولى من القرن الرابع الهجرى ، حتى توفى أبو طاهر سليمان (وهو ابن سعيد المذكور) فأخذت سلطة القرامطة فى التراجع ، وتمكن الفاطميون من إقناعهم برد الحجر الأسود إلى مكة ، فردوه على نحو ما يذكر الطبرى .

وخلف أبو طاهر المذكور رعيم قرمطى جديد هو الحسن بن الأعصم ، ابن أخيه ، فقام بغزو الشام بالاشتراك مع جيش فاطمى ، ولكن الجيش الفاطمى الرئيسى كان يخطط لفتح الشام ونجح فى ذلك عام ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) ومن ثم تحولت النظرة إلى القرامطة إلى نظرة عداء ، وإن كان

الزعماء الفاطميون مارسوا الكياسة واللباقة فى صراعاتهم مع ما بقى من قادة هذه الحركة ، على نحو ما يصوره الطبرى ، فحاربوهم وفى أذهانهم أن يقضوا عليهم بأسلوب (السلم المراءغ) كما يقال فى مصطلح السياسة الحديثة ، إذ جهد الفاطميون فى حصر نشاط القرامطة على (مشارف البلدان والشغور) ، ولذلك حاربوهم عندما استولوا على دمشق عام ٣٦٠ هـ (٩٧١ م) وردوهم على أعقابهم عند محاولتهم غزو مصر ، ثم عقدوا معهم لونا من الصلح الذى ساعد على تفتيت الحركة فى النهاية .

وتقف الرواية التى يوردها الهمذانى فى ذيل كتاب الطبرى عند عام ٣٦٧ هـ (٩٧٨ م تقريباً) وهو عام وفاة الحسن الأعظم ، وانهاء رياسة القرامطة إلى مجلس (بتعبيرنا الحديث) من (السادة) . ونحن نعرف من كتب التاريخ مدى نجاح الفاطميين فى احتواء هذه الحركة حين تقرأ أسلوب تعامل قادتهم مع هؤلاء المتمردين ، إذ أصبح نشاطهم مقصوراً على الإحساء ، وكان أسلوب الفاطميين أسلوب دهاء ومكر ، إذ بدأوا بدفع إتاوة مالية لهم ثم دبروا للانقضاض عليهم ، وتدرجياً فقد القرامطة نفوذهم فى شرق الوطن العربى ، وفقدوا السيطرة على عمان ، ثم هاجمهم البويهيون (من بغداد) فى الأحساء نفسها ، وهى قلعتهم الحصينة ، فتشتت جمعهم وتفرق شملهم ، وما هى إلا سنوات معدودة حتى لا نكاد نسمع عنهم أخباراً - بل قبل نهاية القرن الرابع الهجرى .

ويسر مكتبة الأسرة أن تقدم هذه المقتطفات التي انتخبت بعناية من تاريخ الطبرى ، حتى يستمتع بها القارئ العربى الذى كثيراً ما يسمع عن القرامطة دون أن يعرف طابع هذه الحركة وأبعادها الحقيقية . ونأمل أن نكون بذلك قد ألقينا الضوء على بقعة ما زالت غامضة فى أذهان الكثيرين من بقاع التاريخ العربى والإسلامى .

والله من وراء القصد

مكتبة الأسرة

ذكر ابتداء أمر القرامطة

سنة ٢٧٨ هـ

وفيها وردت الأخبار بحركة قوم يُعرفون بالقرامطة بسواد الكوفة ؛ فقام ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة ومقامه بموضع منه يقال له النهرين ، يُظهر الزهد والتقشف ، ويسف الخوص^(١) ، ويأكل من كسبه ، ويكثر الصلاة ، فأقام على ذلك مدة ، فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره أمر الدين ، ورهده في الدنيا ، وأعلمه أنّ الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كلّ يوم وليلة ؛ حتى فشا ذلك عنه بموضعه ، ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت الرسول ، فلم يزل على ذلك يقعدُ إليه الجماعة فيخبرهم من ذلك بما تعلق قلوبهم ، وكان يقعد إلى بقال في القرية ؛ وكان بالقرب من البقال نخلٌ اشتراه قوم من التجار ، واتخذوا حظيرةً جمعوا فيها ما صرّموا^(٢) من حمل النخل ،

(١) سف الخوص : نسجه .

(٢) صرام النهلة : مطع ثمرتها .

وجاءوا إلى البقال فسألوه أن يطلب لهم رجلاً يحفظ عليهم ما صرموا من النخل ، فأومى لهم إلى هذا الرجل ، وقال : إن أجابكم إلى حفظ ثمرتكم ، فإنه بحيث تحبون ، فناظروه على ذلك ، فأجابهم إلى حفظه بدراهم معلومة ؛ فكان يحفظ لهم ، ويصلى أكثر نهاره ويصوم ، ويأخذ عند إفطاره من البقال رطل تمر ، فيُفطر عليه ، ويجمع نوى ذلك التمر .

فلما حمل التجار ما لهم من التمر ، صاروا إلى البقال ، فحاسبوا أجيرهم هذا على أجرته ، فدفعوها إليه ، فحاسب الأجير البقال على ما أخذ منه من التمر ، وخط من ذلك ثمن النوى الذى كان دفعه إلى البقال ؛ فسمع التجار ما جرى بينه وبين البقال فى حق النوى ، فوثبوا عليه فضربوه ، وقالوا : ألم ترض أن أكلت تمرنا حتى بعت النوى ! فقال لهم البقال : لا تفعلوا ، فإنه لم يمس تمركم ؛ وقص عليهم قصته ، فندموا على ضربهم إياه ، وسألوه أن يجعلهم فى حل ، ففعل . وازداد بذلك بُلاً عند أهل القرية لما وقفوا عليه من زهده .

ثم مرض ، فمكث مطروحاً على الطريق ، وكان فى القرية رجلٌ يُحمل على أثوار له ، أحمر العينين شديدة حمرتها ، وكان أهل القرية يسمونه كرميته لحمرة عينيه ، وهو بالنبطية أحمر العينين ، فكلم البقال كرميته هذا ، فى أن يحمل هذا العليل إلى منزله ، ويوصى أهله بالإشراف عليه والعناية به ؛ ففعل وأقام عنده حتى برأ ، ثم كان يأوى

إلى منزله ، ودعا أهل القرية إلى أمره ، ووصف لهم مذهبه ، فأجابه أهل تلك الناحية ، وكان يأخذ من الرجل إذا دخل في دينه ديناراً ؛ ويزعم أنه يأخذ ذلك للإمام ؛ فمكث بذلك يدعو أهل تلك القرى فيجيبونه . واتخذ منهم اثني عشر نقيباً ، أمرهم أن يدعو الناس إلى دينهم ، وقال لهم : أنتم كحواري عيسى بن مريم ؛ فاشتغل أكرّة تلك الناحية عن أعمالهم بما رسم لهم من الخمسين الصلاة التي ذكر أنها مفترضة عليهم .

وكان للهيصم في تلك الناحية ضياع ، فوقف على تقصير أكرته في العمارة ، فسأل عن ذلك ، فأخبر أن إنساناً طراً عليهم ، فأظهر لهم مذهباً من الدين ، وأعلمهم أنّ الذي افترضه الله عليهم خمسون صلاة في اليوم واللييلة ، فقد شغلوا بها عن أعمالهم ، فوجه في طلبه ، فأخذ وجيء به إليه ، فسأله عن أمره ، فأخبره بقصته ، فحلف أنه يقتله .

فأمر به فحبس في بيت ، وأقفل عليه الباب ، ووضع المفتاح تحت هوسادته ، وتشاغل بالشرب ، وسمع بعض من في داره من الجوارى بقصته فرقت له . فلما نام الهيصم أخذت المفتاح من تحت وسادته ، وفتحت الباب وأخرجته ، وأقفلت الباب ، وردت المفتاح إلى موضعه . فلما أصبح الهيصم دعا بالمفتاح ففتح الباب فلم يجده ، وشاع بذلك الخبر ، ففتن به أهل تلك الناحية ، وقالوا : رفع ثم ظهر في موضع آخر . ولقى جماعة من أصحابه وغيرهم فسألوه عن قصته ، فقال : ليس

يمكن أحداً أن يبدأنى بسوء، ولا يقدر على ذلك منى ، فعظم فى أعينهم، ثم خاف على نفسه ، فخرج إلى ناحية الشام ، فلم يُعرَف له خبر ، وسمّى باسم الرجل الذى كان فى منزله صاحب الأثوار كرميته ، ثم خُفِّف فقالوا : قرمط .

ذكر هذه القصة بعض أصحابنا عمّن حدثه ، أنه حضر محمد بن داود بن الجراح ، وقد دعا يقوم من القرامطة من الحبس ، فسألهم عن زكرويه ، وذلك بعدما قتله ، وعن قرمط وقصته ، وأنهم أوموا له إلى شيخ منهم ، وقالوا له : هذا سلف ذكرويه ، وهو أخبر الناس بقصته ، فسأله عما تريد ، فسأله فأخبره بهذه القصة .

وذكر عن محمد بن داود أنه قال : قرمط رجل من سواد الكوفة ، كان يحمل غلات السواد على أثوار له ، يسمّى حمدان ويلقب بقرمط . ثم فشا أمر القرامطة ومذهبهم ، وكثروا بسواد الكوفة ، ووقف الطائى أحمد بن محمد على أمرهم ، فوظف على كل رجل منهم فى كل سنة ديناراً ، وكان يجبى من ذلك مالاً جليلاً ، فقدم قوم من الكوفة فرفعوا إلى السلطان أمر القرامطة ، وأنهم قد أحدثوا ديناً غير الإسلام ، وأنهم يرون السيف على أمة محمد إلا من بايعهم على دينهم ، وأن الطائى يخفى أمرهم على السلطان . فلم يلتفت إليهم ، ولم يسمع منهم ، فانصرفوا ، وأقام رجل منهم مدة طويلة بمدينة السلام ، يرفع ويزعم أنه

لا يمكنه الرجوع إلى بلده خوفاً من الطائيّ . وكان فيما حكوا عن هؤلاء القرامطة من مذهبهم أن جاءوا بكتاب فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . يقول الفرّج بن عثمان ؛ وهو من قرية يقال لها نصرانة ، داعية إلى المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهديّ ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل . وذكر أنّ المسيح تصوّر له في جسم إنسان ، وقال له : إنك الدّاعية ، وإنك الحجة ، وإنك النّاقة ، وإنك الدّابة ، وإنك روح القدس ، وإنك يحيى ابن زكرياء . وعرفه أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ؛ وأنّ الأذان في كلّ صلاة أن يقول : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ؛ مرتين أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد أن نوحاً رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول الله ، وأشهد أن عيسى رسول الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأشهد أن أحمد بن محمد ابن الحنفية رسول الله ؛ وأن يقرأ في كلّ ركعة الاستفتاح ؛ وهي من المنزل على أحمد بن حمد بن الحنفية . والقبلة إلى بيت المقدس ، والحجّ إلى بيت المقدس ، ويوم الجمعة يوم الاثنين لا يُعمل فيه شيء ، والسورة الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المتخذ لأوليائه بأوليائه . قل إن الأهله مواقيت للناس ؛ ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي . اتقون يا أولى

الألباب ؛ وأنا الذى لا أسأل عما أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذى
أبُلُوا عبادى ، وامتنحن خَلْقِي ؛ فمن صبر على بلائى ومحتى واختبارى
أَلْقَيْتُهُ فى جَنَّتِي ، وأخلدته فى نعمتى ، وَمَنْ رَالَ عن أمرى ، وكذَّب
رسلى ، أخلدته مهانا فى عذابى ، وأتممتُ أَجَلِي ، وأظهرتُ أمرى ؛
على ألسنة رُسُلِي ؛ وأنا الذى لم يعملْ علىَّ جبار إلا وضعته ، ولا عزيزٌ
إلا أذلَّته ؛ وليس الذى أَصْرَّ على أمره ودوام على جهالته ، وقالوا : لن
نبرح عليه عاكفين ، وبه مؤمنين : أولئك هم الكافرون .

ثم يركع ويقول فى ركوعه : سُبْحَانَ رَبِّ الْعِزَّةِ وَتَعَالَى عَمَّا
يَصِفُ الظَّالِمُونَ ! يقولها مرتين ، فإذا سجد قال : اللَّهُ أَعْلَى ، اللَّهُ
أَعْلَى ، اللَّهُ أَعْظَم ، اللَّهُ أَعْظَم .

ومن شرائعه أَنَّ الصَّوْمَ يومان فى السنة ، وهما المهرجان والنوروز ؛
وَأَنَّ النَّبِيذَ حَرَامٌ والخمر حلال ؛ وَلَا غُسْلَ من جنابة إِلَّا الوضوء كوضوء
الصلاة ، وَأَنَّ مَنْ حَارِبَهُ وَجِبَ قَتْلُهُ ، وَمَنْ لَمْ يَحَارِبْهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ أَخَذَتْ
مِنْهُ الْجُزْئِيَّةُ وَلَا يُؤْكَلُ كُلُّ ذِي نَابٍ ، وَلَا كُلُّ ذِي مِخْلَبٍ .

*

وكان مصير قَرْمَطٍ إِلَى سَوَادِ الْكُوفَةِ قَبْلَ قَتْلِ صَاحِبِ الزَّيْجِ ؛ وَذَلِكَ
أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِنَا ذَكَرَ عَنْ سَلَفٍ زَكْرِيَّاهُ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ لِي قَرْمَطُ :
صِرْتُ إِلَى صَاحِبِ الزَّيْجِ ، وَوَصِلْتُ إِلَيْهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي عَلَى
مَذْهَبٍ ، وَوَرَائِي مِائَةُ أَلْفِ سَيْفٍ ؛ فَنَظَرَنِي ، فَإِنْ اتَّفَقْنَا عَلَى الْمَذْهَبِ

ملتُ بِمَنْ مَعِيَ إِلَيْكَ ، وَإِنْ تَكُنْ الْآخَرَى انصرفتُ عَنْكَ . وقلتُ له :
تعطينى الأمان ؟ ففعل .

قال : فناظرته إلى الظهر ، فتبين لى فى آخر مناظرتى إياه أنه على
خلاف أمرى ، وقام إلى الصلاة ، فانسَلَّتْ ، فمضيتُ خارجاً من
مدينته ، وصرت إلى سواد الكوفة .

*

سنة ٢٧٩ هـ : أهم الأحداث :

فمن ذلك ما كان من أمر السلطان بالنداء بمدينة السلام ؛ ألا يَقْعُدُ
على الطريق ولا فى مسجد الجامع قاصّاً ولا صاحبُ نجوم ولا راجر ؛
وحُلِّفَ الوراقون ألا يبيعوا كتبَ الكلام والحدك والفلسفة .

وفىها خُلع جعفر المفوّض من العهد لثمان بقين من المحرّم .

وفى ذلك اليوم بُويع للمعتضد بأنه ولىّ العهد من بعد المعتمد ،
وأنشئت الكتب بخلع جعفر وتولية المعتضد ، ونفّذت إلى البلدان ،
وخطب يوم الجمعة للمعتضد بولاية العهد ، وأنشئت عن المعتضد كتب
إلى العمال والولاة ؛ بأنّ أمير المؤمنين قد ولّاه العهد ، وجعل إليه ما
كان الموقّق يليه من الأمر والنهى والولاية والعزل .

وفىها قُبض على جرادة ، كاتب أبى الصّقّر لخمس خلون من شهر

ربيع الأول ، وكان الموفق وجهه إلى رافع بن هرثمة ، فقدم مدينة السلام قبل أن يُقبض عليه بأيام .

وفيها انصرف أبو طلحة منصور بن مسلم من شهرزور لست بقين من جمادى الأولى - وكانت ضُمَّت إليه - فقبض عليه وعلى كاتبه عقامة ، وأودعاً السجن ؛ وذلك لأربع بقين من جمادى الأولى .

*

[ذكر خبر الفتنة بطرسوس]

وفيها كانت الملحمة بطرسوس بين محمد بن موسى ومكنون غلام راغب مولى الموفق ؛ فى يوم السبت لتسع بقين من جمادى الأولى ؛ وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن طُغج بن جُفّ ، لقي راغباً بحلب ، فأعلمه أن خمارويه بن أحمد يحب لقاءه ، ووعدته عنه بما يحب ؛ فخرج راغب من حلب ماضياً إلى مصر فى خمسة غلمان له ، وأنفذ خادمه مكنوناً مع الجيش الذى كان معه وأمواله وسلاحه إلى طرسوس . فكتب طُغج إلى محمد بن موسى الأعرج يُعلمه أنه قد أنفذ راغباً ، وأن كل ما معه من مال وسلاح وغلمان مع غلامه مكنون ، وقد صار إلى طرسوس ، وأنه ينبغي له أن يقبض عليه ساعة يدخل وعلى ما معه . فلما دخل مكنون طرسوس وثب به الأعرج ، فقبض عليه ووكل بما معه ، فوثب أهل طرسوس على الأعرج ، فحالوا بينه وبين مكنون ، وقبضوا على الأعرج

فحبسوه فى يد مكنون ، وعلموا أنَّ الحيلة قد وقعت براغب ؛ فكتبوا إلى خمارويه بن أحمد يعلمونه بما فعل الأعرج ، وأنهم قد وُكِّلوا به ، وقالوا: أطلق راغباً لينفذ إلينا حتى نطلق الأعرج ، فأطلق خمارويه راغباً، وأنفذه إلى طَرَسُوس ؛ وأنفذ معه أحمد بن طُغان والياً على الثغور، وعزل عنهم الأعرج ، فلماً وصل راغب إلى طَرَسُوس أطلق محمد بن موسى الأعرج ، ودخل طَرَسُوس أحمد بن طُغان والياً عليها وعلى الثغور ومعه راغب ، يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من شعبان .

*

[خبر وفاة المعتمد]

وفيهما توفى المعتمد ليلة الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب ، وكان شرب على الشطّ فى الحَسَنَى يوم الأحد شرباً كثيراً ، وتعشى فأكثراً. فمات ليلاً ، فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وستة أيام - فيما ذكر .

خلافة المعتضد

وفى صبيحة هذه الليلة بُويع لأبى العباس المعتضد بالله بالخلافة ، فولى غلامه بدرًا الشرطة وعبيد الله بن سليمان بن وهب الوزارة ومحمد ابن الشاد بن ميكال الخرس . وحجبة الخاصة والعامة صالحا المعروف بالأمين ، فاستخلف صالح خفيها السمرقندى .

وليلتين خَلَّتَا من شعبان فيها قَدِمَ على المعتضد رسولُ عمرو بن
الليث الصفار بهدايا ، وسأل ولاية خُرَّاسان ، فوجّه المعتضد عيسى
النُّوشِرِيَّ مع الرسول ، ومعه خلْع ولواء عقده له على خراسان ، فوصلوا
إليه فى شهر رمضان من هذه السنة ، ونُخِّلَ عليه ، ونُصِبَ اللواء فى
صحن داره ثلاثة أيام .

*

وفىها ورد الخبر بموت نصر بن أحمد ، وقام بما كان إليه من العمل
وراء نهر بلخ أخوه إسماعيل بن أحمد .

وفىها قدم الحسين بن عبدالله المعروف بابن الجصاص من مصر رسولا
لخمارويه بن أحمد بن طولون ، ومعه هدايا من العين ؛ عشرون حملاً
على بغال وعشرة من الخدم وصندوقان فيهما طراز وعشرون رجلاً على
عشرين نجيباً ، بسروج محلاة بحلية فضة كثيرة ، ومعهم حراب فضة ،
وعليهم أقبية الديباج والمناطق المحلاة وسبع عشرة دابة ، بسروج ولحم ،
منها خمسة بذهب والباقي بفضة ، وسبع وثلاثون دابة بجلال مشهورة ،
 وخمسة أبغل بسروج ولحم ورأفة ، يوم الاثنين لثلاث خلون من شوال ،
فوصل إلى المعتضد ، فخلع عليه وعلى سبعة نفر معه . وسفر ابن
الجصاص فى تزويج ابنة خمارويه من على بن المعتضد ، فقال المعتضد .
أنا أتزوجها ، فتزوجها .

سنة ٢٨٠ هـ : أهم الأحداث :

فمن ذلك ما كان من أخذ المعتضد عبد الله بن المهتدي ومحمد بن الحسن بن سهل المعروف بشيعة - وكان شيعة هذا مع صاحب الزنج إلى آخر أيامه ، ثم لحق بالموفق في الأمان فآمنه - وكان سبب أخذه إياهما أن بعض المستأمنة سعى به إلى المعتضد ، وأعلمه أنه يدعو إلى رجل لم يوقف على اسمه ، وأنه قد استفسد جماعة من الجند وغيرهم ، وأخذ معه رجل صيدناني وابن أخ له من المدينة ، فقرره المعتضد فلم يقر بشيء ، وسأله عن الرجل الذي يدعوا إليه ، فلم يقر بشيء ، وقال : لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه ، ولو عملتني كردناك لما أخبرتك به ؛ فأمر بنار فأوقدت ، ثم شد على خشبة من خشب الخيم ، وأدير على النار حتى تقطع جلده ، ثم ضربت عنقه ، وصلب عند الجسر الأسفل في الجانب الغربي .

وحبس ابن المهتدي إلى أن وقف على براءته ، فأطلق ، وكان صلبه لسبع خلون من المحرم .

فذكر أن المعتضد قال لشيعة : قد بلغني أنك تدعو إلى ابن المهتدي ، فقال : المأثور عني غير هذا ، وأنى أتولى آل ابن أبي طالب - وقد كان قرر ابن أخيه فأقر - فقال له : قد أقر ابن أخيك ، فقال له : هذا غلام حدث تكلم بهذا خوفاً من القتل ، ولا يقبل قوله . ثم أطلق ابن أخيه والصيدناني بعد مدة طويلة .

وفيها انصرف المعتضد إلى بغداد من خرجته إلى الأعراب .

وفيها ، فى جمادى الآخرة ورد الخبر بدخول عمرو بن الليث نيسابور : فى جمادى الأولى منها .

وفيها وجه يوسف بن أبى الساج اثنين وثلاثين نفساً من الخوارج ، من طريق الموصل ، فضربت أعناق خمسة وعشرين رجلاً منهم ، وصلبوا ، وحبس سبعة منهم فى الحبس الجديد .

وفيها دخل أحمد بن أبا طرسوس لغزاة الصائفة ، لخمس خلون من رجب من قبعل خمارويه ، ودخل بعده بدر الحمّامى ، فغزوا جميعاً مع العجيفى أمير طرسوس حتى بلغوا البلقسور .

وفيها ورد الخبر بغزو إسماعيل بن أحمد بلاد الترك وافتتاحه - فيما ذكر - مدينة ملكهم ، وأسره إياه وامراته خاتون ونحواً من عشرة آلاف ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وغنم من الدوابّ دوابّ كثيرة لا يوقف على عددها ، وأنه أصاب الفارس من المسلمين من الغنيمة فى المقسم ألف درهم .

ولليلتين بقيتا من شهر رمضان منها ، تُوفّي راشد مولى الموفق بالدينور ، وحُمل فى تابوت إلى بغداد .

ولثلاث عشرة خلت من شوال مات مسرور البلخى .

وفيها - فيما ذكر - فى ذى الحجة ورد كتاب من دُيّل بانكشاف

القمر فى شوال لأربع عشرة خلت منها ، ثم تجلّى فى آخر الليل .
فأصبحوا صبيحة تلك الليلة والدنيا مظلمة ، ودامت الظلمة عليهم ؛ فلما
كان عند العصر هبّت ريح سوداء شديدة ، فدامت إلى ثلث الليل ؛ فلما
كان ثلث الليل زلزلوا ، فأصبحوا وقد ذهبّت المدينة فلم ينج من منازلها
إلا اليسير ، قدر مائة دار ، وأنهم دفنوا إلى حين كُتب الكتاب ثلاثين
ألف نفس يخرجون من تحت الهدم ، ويدفنون ، وأنهم زلزلوا بعد الهدم
خمس مرات .

وذكر عن بعضهم أن جملة من أخرج من تحت الهدم خمسون ومائة
ألف ميت .

*

سنة ٢٨٢ :

فى شهر ربيع الأول منها قبض على بكتمر بن طاشتمر ، وقيد
وحبس ، وقبض ماله وضياعه ودوره .

وفىها نُقلت ابنة خمارويه بن أحمد إلى المعتضد لأربع خلون من
شهر ربيع الآخر ، ونُودى فى جانبى بغداد ألا يعبر أحد فى دجلة يوم
الأحد ، وغُلّقت أبواب الدروب التى تلى الشطّ ومدّ على الشوارع النافذة
إلى دجلة شراع ، ووُكِّل بحافتي دجلة من يمنع أن يظهرُوا فى دورهم على
الشطّ . فلما صليت العتمة وافت الشدّا من دار المعتضد ، وفىها خدم
معهم الشمع ، فوقفوا بإزاء دار صاعد ، وكانت أعدت أربع حراقات

شُدَّتْ مع دار صاعد ، فلما جاءت الشدا أُحْدِرَتْ الحَرَاقَات ، وصارت
الشَّدا بين أيديهم ؛ وأقامت الحرَّة يوم الاثنين في دار المعتضد ، وجُلِّيتْ
عليه يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر ربيع الأول .

وفيها شخص المعتضد إلى الجبل ، فبلغ الكرج ، وأخذ أموالا لابن
أبى دُلف ، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز بن أبى دُلف يطلب منه
جوهرًا كان عنده ، فوجه به إليه ، وتنحى من بين يديه .

وفيها أطلق لؤلؤ غلام ابن طولون بعد خروج المعتضد ، وحُمِلَ على
دوابٍّ وبغال .

وفيها وجهَ يوسف بن أبى الساج إلى الصَّيِّمَةِ مددًا لفتح القلانسي ،
فهرب يوسف بن أبى الساج مِن أطاعه إلى أخيه محمد بالمراغة ، ولقى
مالاً للسلطان في طريقه فأخذه ، فقال في ذلك عبيد الله بن عبد الله بن
طاهر :

إِمَامَ الْهَدَى أَنْصَارُكُمْ آلُ طَاهِرٍ
بِلا سَبَبٍ يُجْفَوْنَ وَالِدُهُمْ يَذْهَبُ
وَقَدْ خَلَطُوا صَبْرًا بِشُكْرٍ وَرَابِطُوا
وغيرهم يُعْطَى وَيُحْبَى وَيَهْرَبُ

وفيها وجهَ المعتضد الوزير عبيد الله بن سليمان إلى الرى إلى أبى
محمد ابنه .

*

وفيهما وجه محمد بن زيد العلويّ من طبرستان إلى محمد بن ورد
العطار باثنين وثلاثين ألف دينار ، ليفرقها على أهله ببغداد والكوفة ؛
ومكة والمدينة ، فسعى به ، فأحضر دار بدر ، وسئل عن ذلك ، فذكر
أن يوجه إليه في كلّ سنة بمثل هذا المال ، فيفرقه على من يأمره بالفرقة
عليه من أهله . فأعلم بدر المعتضد ذلك ، وأعلمه أن الرجل في يديه
والمال ، واستطلع رأيه وما يأمر به .

فذكر عن أبي عبد الله الحسنیّ أنّ المعتضد قال لبدر : يا بدر ، أما
تذكر الرؤيا التي خبرتك بها ؟ فقال : لا يا أمير المؤمنين ، فقال : ألا
تذكر أنّي حدثتك أنّ الناصر دعاني ، فقال لي : اعلم أنّ هذا الأمر
سيصير إليك ، فانظر كيف تكون مع آل عليّ بن أبي طالب ! ثم قال :
رأيتُ في النوم كأنني خارج من بغداد أريد ناحية النهروان في جيشي ،
وقد تشوّف الناس إليّ ، إذ مررتُ برجل واقف على تلّ يصلي ، لا
يلتفت إليّ ، فعجبت منه ومن قلة اكترائه بعسكري ، مع تشوّف الناس
إلى العسكر ، فأقبلتُ إليه حتى وقفت بين يديه ، فلما فرغ من صلاته
قال لي : أقبل ، فأقبلتُ إليه ، فقال : أتعرفني ؟ قلت : لا ، قال :
أنا عليّ بن أبي طالب ؛ خذ هذه المسحاة ، فاضرب بها الأرض - لمسحاة
بين يديه - فأخذتها فضربت بها ضربات ، فقال لي : إنه سيلى من
ولئك هذا الأمر بقدر ما ضربت بها ، فأوصيهم بولدي خيراً . قال بدر :
فقلت : بلى يا أمير المؤمنين ؛ قد ذكرت . قال : فأطلق المال ، وأطلق

الرجل وتقدّم إليه أن يكتب إلى صاحبه بطبرستان أن يوجه ما يوجه به إليه ظاهراً ، وأن يفرّق محمد بن ورد ما يفرّقه ظاهراً ، وتقدّم بمعونة محمد على ما يريد من ذلك .

*

سنة ٢٨٣ - أهم الأحداث :

[خبر حصر الصقالبة القسطنطينية]

وفيها - فيما ذكر - ورد كتابٌ من طرسُوس أن الصّقالبة غزت الروم في خلق كثير ، فقتلوا منهم وخربوا لهم قرى كثيرة حتى وصلوا إلى قسطنطينية وألجئوا الرّوم إليها ، وأغلقت أبواب مدينتهم ، ثم وجه طاغية الروم إلى ملك الصّقالبة أن ديننا ودينكم واحد ؛ فعلام نقتل الرجال بيننا ! فأجابه ملك الصّقالبة أن هذا ملك آبائي ، ولست منصرفاً عنك إلا بغلبة أحدنا صاحبه ؛ فلما لم يجد ملك الرّوم خلاصاً من صاحب الصّقالبة ، جمّع من عنده من المسلمين ، فأعطاهم السلاح ، وسألهم معونته على الصّقالبة ، ففعلوا ، وكشفوا الصّقالبة ، فلما رأى ذلك ملك الروم خافهم على نفسه ، فبعث إليهم فردّهم ، وأخذ منهم السلاح ، وفرّقهم في البلدان ، حذراً من أن يجنوا عليه .

*

[خلاف جند جيش بن خمارويه عليه]

وللنصف من رجب من هذه السنة ورد الخبر من مصر أن الجند من المغاربة والبربر وثبوا على جيش بن خمارويه ، وقالوا : لا نرضى بك أميراً علينا ففتحنا عنا حتى نولّى عمك ، فكلّمهم كاتبه على بن أحمد الماذرائي ، وسألهم أن ينصرفوا عنه يومهم ذلك ، فانصرفوا وعادوا من غد ، فعدا جيش على عمه الذى ذكروا أنهم يؤمّرونه ، فضرب عنقه وعنق عم له آخر ، ورعى بأرؤسهما إليهم ، فهجم الجند على جيش بن خمارويه ، فقتلوه وقتلوا أمّه وانتهبوا داره ، وانتهبوا مصر وأحرقوها ، وأقعدوا هارون بن خمارويه مكان أخيه .

وفى رجب منها أمر المعتضد بكرى دُجَيْل والاستقصاء عليه ، وقلع صخر فى فوّته كان يمنع الماء ، فجُبى لذلك من أرباب الضياع والإقطاعات أربعة آلاف دينار ، وكسر - فيما ذكر - وأنفق عليه ، وولى ذلك كاتب ريرك وخادم من خدم المعتضد .

*

[ذكر امر المعتضد مع عمر بن عبد العزيز بن أبى دلف وأخيه بكر]

وفى يوم الجمعة لعشر خلّون من شهر رمضان من هذه السنة قرئ كتاب على المنبر بمدينة السلام فى مسجد جامعها ؛ بأن عمر بن عبد العزيز بن أبى دلف صار إلى بدر وعبيد الله بن سليمان فى الأمان يوم

السبت لثلاث بقين من شعبان سامعًا مطيعًا منقادًا لأمر المؤمنين ، مذعنًا بالطاعة والمصير معهما إلى بابه ، وأن عبيد الله بن سليمان خرج إليه فتلقيه ، وصار به إلى مضرب بدر ، فأخذ عليه وعلى أهل بيته وأصحابه البيعة لأمر المؤمنين ، وخلع عليه بدر وعلى الرؤساء من أهل بيته ، وانصرفوا إلى مضربٍ قد أعدَّ لهم ، وكان قبل ذلك قد دخل بكر بن عبد العزيز في الأمان على بدر وعبيد الله بن سليمان ، فولَّياه عمل أخيه عمر ، على أن يخرج إليه ويحاربه ، فلما دخل عمر في الأمان قال لبكر : إن أخاك قد دخل في طاعة السلطان ؛ وإنما كنا ولَّيناك عمله على أنه عاصٍ ، والآن فأمر المؤمنين أعلى عيتًا فيما يرى من أمركما ، فامضيا إلى بابه .

سنة ٢٨٤ :

في يوم الخميس لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر من هذه السنة - فيما ذكر - ظهرت ظلمة بمصر ، وحُمرة في السماء شديدة ؛ حتى كان الرجل ينظر إلى وجه الآخر ، فيراه أحمر ، وكذلك الحيطان وغير ذلك ، ومكثوا كذلك من العصر إلى العشاء الآخرة ، وخرج الناس من منازلهم يدعون الله ويتضرعون إليه .

وفي يوم الأربعاء لثلاث خلون من جمادى الأولى ، ولإحدى عشرة ليلة خلت من حَزيران ، نُودى في الأرباع والأسواق ببغداد بالنَّهي عن

وقود النيران ليلة النيروز ، وعن صب الماء فى يومه ، ونودى بمثل ذلك فى يوم الخميس ، فلما كان عشية يوم الجمعة نودى على باب سعيد بن يكسين صاحب الشرطة بالجانب الشرقى من مدينة السلام ، بأن أمير المؤمنين قد أطلق للناس فى وقود النيران وصب الماء ، ففعلت العامة من ذلك ما جاوز الحد ، حتى صبوا الماء على أصحاب الشرطة فى مجلس الجسر - فيما ذكر .

وفىها أغريت العامة بالصياح بمن رأوا من الخدم السود : يا عقيق ، فكانوا يغضبون من ذلك ، فوجه المعتضد خادماً أسود عشية الجمعة برقعة إلى ابن حمدون النديم ؛ فلما بلغ الخادم رأس الجسر من الجانب الشرقى صاح به صائح من العامة : يا عقيق ! فشم الخادم الصائح ، وقنعه ، فاجتمعت جماعة من العامة على الخادم فنكسوه وضربوه ، وضاعت الرقعة التى كانت معه . فرجع إلى السلطان فأخبره بما صنع به ، فأمر المعتضد طريقاً المخلدى الخادم بالركوب والقبض على كل من تولع بالخدم وضربه بالسياط . فركب طريف يوم السبت لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى فى جماعة من الفرسان والرجالة ، وقدم بين يديه خادماً أسود ؛ فصار إلى باب الطاق لِمَا أمر به من القبض على من صاح بالخدام : يا عقيق ، فقبض فيما ذكر بباب الطابق على سبعة أنفس ؛ ذكر أن بعضهم كان بزياً ؛ فضرّبوا بالسياط فى مجلس الشرطة بالجانب الشرقى . وعبر طريف فمضى إلى الكرخ ، ففعل مثل ذلك ، وأخذ

خمسة أنفس فضرِبهم فى مجلس الشرطة بالشرقية ، وحُمِل الجميع على جمال ، ونودى عليهم : هذا جزاء مَنْ أُولِعَ بخدم السلطان ، وصاح بهم : يا عقيق ، وحبسوا يومهم ، وأطلقوا بالليل .

وفى هذه السنة عَزَم المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبى سفيان على المنابر ، وأمر بإنشاء كتاب بذلك يُقرأ على الناس ، فخوِّفه عبيد الله ابن سليمان بن وهب اضطراب العامة ، وأنه لا يأمن أن تكون فتنة ، فلم يلتفت إلى ذلك من قوله .

وذكر أن أول شيء بدأ به المعتضد حين أراد ذلك الأمر بالتقدّم إلى العامة بلزوم أعمالهم ، وترك الاجتماع والقضية والشهادات عند السلطان ، إلا أن يُسألوا عن شهادة إن كانت عندهم ، وبمنع القصّاص من القعود على الطرقات ، وعملت بذلك نسخ قرئت بالجانبين بمدينة السلام فى الأرباع والمحالّ والأسواق ، فقرئت يوم الأربعاء لستّ بقين من جمادى الأولى من هذه السنة ، ثم مُنِع يوم الجمعة لأربع بقين منها القصّاص من القعود فى الجامعين ، ومُنِع أهل الحلق فى الفتيا أو غيرهم من القعود فى المسجدين ، ومُنِع الباعة من القعود فى رحابهما .

وفى جمادى الآخرة نودى فى المسجد الجامع بنهى الناس عن الاجتماع على قاصٍّ أو غيره ، ومنع القصّاص وأهل الحلق من القعود .

وفى يوم الحادى عشر - وذلك يوم الجمعة - نُودى فى الجامعين بأنّ الزمة بريّة ممن اجتمع من الناس على مناظرة أو جدل ، وأن من فعل

ذلك أحلّ بنفسه الضرب ، وتقدم إلى الشرّاب والذين يسقون الماء فى الجامعين ألا يترحموا على معاوية ، ولا يذكروه بخير .

*

وفى ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة خلت من شعبان - أو ليلة الخميس فيما ذكر - ظهر شخص إنسان فى يده سيف فى دار المعتضد بالثرى ، فمضى إليه بعض الخدم لينظر ما هو ، فضربه الشخص بالسيف ضربة قطع بها منطقته ، ووصل السيف إلى بدن الخادم ، ورجع الخادم منصرفاً عنه هارباً ، ودخل الشخص فى ررع فى البستان ، فتوارى فيه ، فطلب باقى ليلته ومن غد ، فلم يوقف له على أثر ، فاستوحش المعتضد لذلك ، وكثر الناس فى أمره رجماً بالظنون ، حتى قالوا : إنه من الجن ، ثم عاد هذا الشخص للظهور بعد ذلك مراراً كثيرة ، حتى وكّل المعتضد بسور داره ، وأحكم السور ورأسه ، وجعل عليه كالبرابخ ؛ لئلا يقع عليه الكلاب إن رمى به ، وجىء باللصوص من الحبس ونوظروا فى ذلك ، وهل يمكن أحد الدخول إليه بنقب أو تسلُّق .

وفى يوم السبت لثمان بقين من شعبان من هذه السنة ، وجه كرامة بن مُرّ من الكوفة بقوم مقيدين ، ذكر أنهم من القرامطة ، فأقروا على أبى هاشم بن صدقة الكاتب أنه كان يكاتبهم ، وأنه أحد رؤسائهم ، فقبض على أبى هاشم ، وقيد وحبس فى المطامير .

وفى يوم السبت لسبع خلون من شهر رمضان من هذه السنة جُمع
المجانين والمعزّمون ، ومُضِيَ بهم إلى دار المعتضد فى الثرىّ بسبب
الشّخص الذى كان يظهر له ، فأدخِلوا الدار ، وصعد المعتضدِ عَلَيْهِ له ،
فأشرف عليهم ؛ فلما رآهم صرّعت امرأة كانت معهم من المجانين
واضطربت ، وتكشّفت ، فضجر وانصرف عنهم ، ووهب لكلّ واحد
منهم خمسة دراهم - فيما ذكر - وصُرفوا . وقد كان وجه إلى المعزّمين
قبل أن يشرف عليهم مَنْ يسألهم عن خبر الشّخص الذى ظهر له : هل
يمكنهم أن يعلموا علمه ؟ فذكر قومٌ منهم أنهم يعزّمون على بعض
المجانين ، فإذا سقط سأل الجنّى عن خبر ذلك الشّخص وما هو ، فلما
رأى المرأة التى صرّعت أمر بصرفهم .

وفى ذى القعدة منها ورد الخبر من أصبهان ، بوثوب الحارث بن عبد
العزیز بن أبى دلف المعروف بأبى لیلی بشفیع الخادم الموكّل كان به
فقتله ، وكان أخوه عمر بن عبد العزيز بن أبى دلف أخذه فقيّده ، وحمله
إلى قلعة لآل أبى دلف بالزّز ، فحبسه فيها ، وكان كلّ ما لآل أبى دلف
من مال ومتاع نفيس وجوهر فى القلعة ، وشفیع مولاهم موكّل بحفظ
ذلك وحفظ القلعة ، ومعه جماعة من غلمان عمر وخاصّته ، فلما استأمن
عمر إلى السلطان ، وهرب بكر عاصياً للسلطان بقيت القلعة بما فيهم فى
يد شفیع ، فكلمه أبو لیلی فى إطلاقه فأبى ، وقال : لا أفعل فيك وفيما
فى یدى إلا بما يأمرنى به عمر .

فذكر عن جارية لأبى ليلى أنها قالت : كان مع أبى ليلى فى الحبس غلامٌ صغير يخدمه . وآخر يخرج ويدخل فى حوائجه ولا يبيت عنده ، ويبست عنده الغلام الصغير ، فقال أبو ليلى لغلّامه الذى يخرج فى حوائجه : احتلّ لى فى مبرّد تدخّله إلىّ ، ففعل وأدخّله فى شىء من طعامه . وكان شفيع الخادم يجرى فى كل ليلة إذا أراد أن ينام إلى البيت الذى فيه أبو ليلى حتّى يراه ، ثم يقفل عليه باب البيت هو بيده ويمضى فينام ، وتحت فراشه سيف مسلّول . وكان أبو ليلى قد سأل أن تُدخّل إليه جارية ، فأدخّلت إليه جارية حدّثة السنّ ، فذكر عن ذلّفاء جارية أبى ليلى عن هذه الجارية أنها قالت : برّد أبو ليلى المسمار الذى فى القيد ، حتّى كان يخرجّه من رجله إذا شاء . قالت : وجاء شفيع الخادم عشيّة من العشايا إلى أبى ليلى ، فقعد معه يحدّثه ، فسأله أبو ليلى أن يشرب معه أقداحًا ، ففعل ، ثم قام الخادم لحاجته . قالت : فأمرنى أبو ليلى ، ففرشتُ فراشه ، فجعل عليه ثيابا فى موضع الإنسان من الفراش ، وغطّى على الثياب باللّحاف ، وأمرنى أن أقعد عند رجل الفراش ، وقال لى : إذا جاء شفيع لينظر إلىّ ويقفل الباب ، فسألك عنّى فقولى : هو نائم . وخرج أبو ليلى من البيت ، فاختنفى فى جوف فرش ومتاع فى ضفّة فيها باب هذا البيت ، وجاء شفيع فنظر إلى الفراش ، وسأل الجارية فأخبرته أنه قد نام ، فأقفل الباب ؛ فلمّا نام الخادم ومنّ معه فى الدار التى فى القلعة خرج أبو ليلى ، فأخذ السيف من تحت فراش شفيع ، وشدّ عليه فقتله ، فوثب الغلمان الذين كانوا ينامون حوله فزعين ، فاعترلهم أبو

ليلى والسيف فى يده ، وقال لهم : أنا أبو ليلى قد قتلتُ شفيعاً ، ولئن تقدّم إلىّ منكم أحد لأقتلنّه وأنتم آمنون ؛ فاخرجوا من الدار حتى أكلمكم بما أريد ، ففتحوا باب القلعة ، وخرجوا ، وجاء حتى قعد على باب القلعة ، واجتمع الناس ممّن كان فى القلعة ، فكلمهم ووعدهم الإحسان ، وأخذ عليهم الأيمان . فلما أصبح نزل من القلعة ، ووجهه إلى الأكراد وأهل الزموم ، فجمعهم وأعطاهم ، وخرج مخالفاً على السلطان . وقيل إن قتله الخادم كان فى ليلة السبت لاثنتى عشرة بقيت من ذى القعدة من هذه السنة ، وقيل : إنه ذبح الخادم ذبحاً بسكين كان أدخلها إليه غلامه ، ثم أخذ السيف من تحت فراش الخادم وقام به إلى الغلمان .

وفى هذه السنة - وهى سنة أربع وثمانين ومائتين - كان المنجمون يوعدون الناس بغرق أكثر الأقاليم ، وأنّ إقليم بابل لا يسلم منه إلا اليسير ، وأنّ ذلك يكون بكثرة الأمطار وزيادة المياه فى الأنهار والعيون والآبار ، فقحط الناس فيها فلم يروا فيها من المطر إلا اليسير ، وغارت المياه فى الأنهار ، والعيون والآبار ، حتى احتاج الناس إلى الاستسقاء فاستسقوا ببغداد مرات .

ولليلة بقيت من ذى الحجة من هذه السنة كانت - فيما ذكر - وقعة بين عيسى النّوشرى وبين أبى ليلى بن عبد العزيز بن أبى دلف ، وذلك يوم الخميس دون أصبهان بفرسخين ، فأصاب أبا ليلى سهم فى حلقه

- فيما ذكر - فنحره ، فسقط على دابته ، وانهزم أصحابه ، وأخذ رأسه فحمله إلى أصبهان .

سنة ٢٨٦ :

فى هذه السنة ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبى سعيد الجنابى بالبحرين ، فاجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة ؛ وكان خروجه - فيما ذكر - فى أول هذه السنة ، وكثر أصحابه فى جمادى الآخرة ، وقوى أمره ، فقتل من حوله من أهل القرى ، ثم صار إلى موضع يقال له القطيف ، بينه وبين البصرة مراحل ، فقتل من بها . وذكر أنه يريد البصرة ، فكتب أحمد بن محمد بن يحيى الوثاقى - وكان يتقلد معاون البصرة وكور دجلة فى ذلك الوقت - إلى السلطان بما اتصل به من عزم هؤلاء القرامطة ؛ فكتب إليه وإلى محمد بن هشام المتولّى أعمال الصدقات والخراج والضيايع بها ، فى عمل سور على البصرة ، فقدّرت النفقة على ذلك أربعة عشر ألف دينار ، فأمر بالإنفاق عليه فبنى .

وفى رجب من هذه السنة صار إلى الأنبار جماعة من أعراب بنى شيبان ، فأغاروا على القرى ، وقتلوا من لحقوا من الناس ، واستاقوا المواشى . فخرج إليهم أحمد بن محمد بن كُمشجور المتولّى معاون بها ، فلم يُطَقهم . فكتب إلى السلطان يخبره بأمورهم . فوجه من مدينة السلام نفيساً مولدى وأحمد بن محمد الزرنجى والمظفر بن حاج مدداً له فى زهاء

ألف رجل ؛ فصاروا إلى موضع الأعراب ، فواقعوهم بموضع يعرف بالمنقبة من الأنبار ، فهزمهم الأعراب ، وقتلوا أصحابهم وغرق أكثرهم في الفرات ، وتفرقوا . فورد كتاب ابن حاجّ يوم الاثنين لست بقين من رجب بخبر هذه الواقعة وهزيمة الأعراب إياهم ، فأقام الأعراب يعيثون في الناحية ، ويتخفرون القرى ، فكتب إلى المعتضد بخبرهم ، فوجه إليهم لقتالهم من الرقة العباس بن عمرو الغنوي وخفيفاً الأذكوتكيني وجماعة من القوادم . فصار هؤلاء القوادم إلى هيت في آخر شعبان من هذه السنة . وبلغ الأعراب خبرهم ، فارتحلوا عن موضعهم من سواد الأنبار ، وتوجهوا نحو عين التمر ، فنزلوها ، ودخل القواد الأنبار ، فأقاموا بها ، وعاث الأعراب بعين التمر ونواحي الكوفة ؛ مثل عيthem بنواحي الأنبار ، وذلك بقية شعبان وشهر رمضان .

ولعشر بقين من شهر رمضان منها وجه المعتضد مؤنساً الخازن إلى الأعراب بنواحي الكوفة وعين التمر ، وضم إليه العباس بن عمرو وخفيفاً الأذكوتكيني وغيرهما من القوادم ، فسار مؤنس ومن معه حتى بلغ الموضع المعروف ببنينوى ، فوجد الأعراب قد ارتحلوا عن موضعهم ، ودخل بعضهم إلى بريّة طريق مكة وبعضهم إلى بريّة الشام ، فأقام بموضعه أياماً ، ثم شخص إلى مدينة السلام .

وفي شوال منها قلّد المعتضد وعبيد الله بن سليمان ديوان المشرق محمد بن داود ابن الجراح ، وعزل عنه أحمد بن محمد بن الفرات ،

وَقُلَّدَ ديوان المغرب علىّ بن عيسى بن داود بن الجراح ، وعُزِّل عنه ابن
الفرات .

سنة ٢٨٧ :

وفى شهر ربيع الأول منها غلُظ أمر القرامطة بالبحرين ، فأغاروا
على نواحي هَجَرَ ، وقرب بعضهم من نواحي البصرة ، فكتب أحمد بن
محمد بن يحيى الوثائقى يسأل المددَ ، فوجه إليه فى آخر هذا الشهر بثمانى
شَدَوَات ، فيها ثلثمائة رجل ، وأمر المعتضد باختيار جيش لينفذه إلى
البصرة .

وفى يوم الأحد لعشرِ خلون من شهر ربيع الآخر ، قعد بدر مولى
المعتضد فى داره ، ونظر فى أمور الخاصة والعامة من الناس والخراج
والضياع والمعاون .

وفى يوم الاثنين لإحدى عشرة خلّت من شهر ربيع الآخر ، مات
محمد بن عبد الحميد الكاتب المتولى ديوانَ رمام المشرق والمغرب .

وفى يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلّت منه ولّى جعفر بن محمد بن
حفص هذا الديوان ، فصار من يومه إلى الديوان وقعد فيه .

وفى شهر ربيع الآخر منها ولّى المعتضدُ عبّاسَ بن عمرو الغنّوىّ
اليمامة والبحرين ومحاربة أبى سعيد الجنّابىّ ومَن معه من القرامطة ،

وضمَّ إليه زهاء ألفي رجل ، فعسكر العباس بالفِرْكِ أيامًا حتى اجتمع إليه أصحابه ، ثم مضى إلى البصرة ، ثم شخص منها إلى البحرين واليمامة .

وفيها - فيما ذكر - وافى العدوَّ باب قلمية من طرسُوس ، فنفر أبو ثابت وهو أمير طرسُوس بعد موت ابن الإخشاد - وكان استخلفه على البلد حين غزا - فمات وهو على ذلك ؛ فبلغ في نفيه إلى نهر الرِّيحان في طلب العدو ، فأسيرَ أبو ثابت وأصيب الناس ؛ فكان ابن كلوب غاريًا في درب السلامة ؛ فلما قفل من غزاته جمع المشايخ من أهل الثغر ليتراضوا بأميرٍ يلي أمورهم ، فاتفق رأيهم على عليّ بن الأعرابي ، فولّوه أمرهم بعد اختلاف من ابن أبي ثابت .

وذكر أن أباه استخلفه ، وجمع جمعًا لمحاربة أهل البلد حتى توسَّط الأمر ابن كلوب ، فرضى ابنُ ثابت ؛ وذلك في شهر ربيع الآخر ، وكان النُّغيل حينئذ غاريًا ببلاد الروم ، فانصرف إلى طرسُوس ، وجاء الخبر أن أبا ثابت حُمِلَ إلى القسطنطينية من حصن قونية ، ومعه جماعة من المسلمين .

وفي شهر ربيع الآخر مات إسحاق بن أيوب الذي كان إليه معاون بديار ربيعة ، فقلَّد ما كان إليه عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعتمر . وفي يوم الأربعاء لخمس بقين من جمادى الأولى ، ورد كتاب - فيما ذكر - على السلطان بأنَّ إسماعيل بن أحمد أسرَ عمرًا الصفار ،

واستباح عسكره ؛ وكان من خبر عمرو وإسماعيل ، أن عمرًا سأل السلطان أن يوليّه ما وراء النهر ، فولاهُ ذلك ، ووجه إليه وهو مقيم بنيسابور بالخلع ، واللواء على ما وراء النهر ، فخرج لمحاربة إسماعيل بن أحمد ، فكتب إليه إسماعيل بن أحمد : إنك قد وليت دنيا عريضة ، وإنما فى يدى ما وراء النهر ، وأنا فى ثغر ؛ فاقنع بما فى يدك ، واتركنى مقيمًا بهذا الثغر . فأبى إجابته إلى ذلك ؛ فذكر له أمر نهر بلخ وشدة عبوره ، فقال : لو أشاء أن أسكره بيدِ الأموال وأعبره لفعلت ؛ فلما آيس إسماعيل من انصرافه عنه جمع من معه والتّناء والدّهاقين ، وعبر النهر إلى الجانب الغربى ؛ وجاء عمرو فنزل بلخ ، وأخذ إسماعيل عليه النواحي ، فصار كالمحاصر ، وندم على ما فعل ، وطلب المحاجة - فيما ذكر - فأبى إسماعيل عليه ذلك ، فلم يكن بينهما كثير قتال حتى هُزم عمرو فولّى هاربًا ، ومرّ بأجمة فى طريقه ، قيل له إنها أقرب ، فقال لعامة من معه : امضوا فى الطريق الواضح . ومضى فى نفر يسير ، فدخل الأجمة ، فوجلت دابّته ؛ فوقع ، ولم يكن له فى نفسه حيلة ، ومضى من معه ، ولم يلووا عليه ، وجاء أصحاب إسماعيل ، فأخذوه أسيرًا . ولما وصل الخبر إلى المعتضد بما كان من أمر عمرو وإسماعيل ، مدح إسماعيل - فيما ذكر - وذمّ عمرًا .

وليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة ، ورد الخبر على السلطان أن وصيفًا خادماً ابن أبى الساج ، هرب من برذعة ، ومضى إلى

مَكْطِيَّةً مَرَاغِمًا لِمَحْمَدِ بْنِ أَبِي السَّاجِ فِي أَصْحَابِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى الْمُعْتَضِدِ
يَسْأَلُهُ أَنْ يُوَلِّيَهُ الثُّغُورَ ، لِيَقُومَ بِهَا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُعْتَضِدُ بِأَمْرِهِ بِالْمَصِيرِ
إِلَيْهِ ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ رَشِيْقًا الْحَرَمِيَّ .

وَلَسَبَعَ خَلَوْنٌ مِنْ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ تُوفِّيَتْ ابْنَةُ خَمَارُويِهِ بْنِ أَحْمَدَ
ابْنِ طَوْلُونٍ ، رَوْجَةُ الْمُعْتَضِدِ ، وَدَفِنَتْ دَاخِلَ قَصْرِ الرِّصَافَةِ .

وَلْعَشْرَ خَلَوْنٌ مِنْ رَجَبٍ وَفَدَ عَلَى السُّلْطَانِ ثَلَاثَةَ أَنْفُسٍ وَجَّهَهُمْ
وَصَيْفٍ خَادِمِ ابْنِ أَبِي السَّاجِ إِلَى الْمُعْتَضِدِ ، يَسْأَلُهُ أَنْ يُوَلِّيَهُ الثُّغُورَ ،
وَيُوجِّهَ إِلَيْهِ الْخَلْعَ ، فَذَكَرَ أَنَّ الْمُعْتَضِدَ أَمَرَ بِتَقْرِيرِ الرُّسْلِ بِالسَّبَبِ الَّذِي مِنْ
أَجْلِهِ فَارَقَ وَصَيْفٍ صَاحِبَهُ ابْنَ أَبِي السَّاجِ ، وَقَصَدَ الثُّغُورَ ، فَقُرِّرُوا
بِالضَّرْبِ ، فَذَكَرُوا أَنَّهُ فَارَقَهُ عَلَى مَوَاطَاةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِهِ ، عَلَى أَنَّهُ مَتَى
صَارَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي هُوَ بِهِ مَتَى لَحِقَ بِهِ صَاحِبُهُ ، فَصَارَا جَمِيعًا إِلَى
مُضَرَ وَتَغَلَّبَا عَلَيْهَا ، وَشَاعَ ذَلِكَ فِي النَّاسِ وَتَحَدَّثُوا بِهِ .

وَلِإِحْدَى عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَلَّى حَامِدُ بْنُ الْعَبَّاسِ
الْخِرَاجَ وَالضِّيَاعَ بِفَارَسٍ ؛ وَكَانَتْ فِي يَدِ عَمْرُو بْنِ اللَّيْثِ الصَّفَّارِ ،
وَدَفَعَتْ كِتَابَهُ بِالْوِلَايَةِ إِلَى أَخِيهِ أَحْمَدَ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَكَانَ حَامِدٌ مَقِيمًا
بِوَاسِطِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَلِيهَا وَكَوْرَ دَجْلَةٍ ، وَكَتَبَ إِلَى عَيْسَى النُّوشَرِيِّ وَهُوَ
بِإَصْبَهَانَ بِالْمَصِيرِ إِلَى فَارَسٍ وَإِلَى عَلَى مَعُونَتِهَا .

*

حرب القرامطة

وفى هذه السنة كان خروج العباس بن عمرو الغنويّ - فيما ذكر - من البصرة بمن ضُمّ إليه من الجند ، مع من خَفَّ معه من مطوّعة البصرة نحو أبى سعيد الجنّابيّ ومن انضوى إليه من القرامطة ، فلقِيَهُم طلائع لأبى سعيد ، فخلف العباس سواده ، وسار نحوهم ، فلقى أبى سعيد ومن معه مساء ، فتناوشوا القتال ، ثم حجز بينهم الليل ، فانصرف كلّ فريق منهما إلى موضعهم . فلما كان الليل انصرف من كان مع العباس أعراب بنى ضَبّة - وكانوا رهاء ثلثمائة - إلى البصرة ، ثم تبعهم مطوّعة البصرة ؛ فلما أصبح العباس غادى القرامطة الحرب ، فاقتتلوا قتالا شديداً . ثم إن صاحب ميسرة العباس - وهو لحاج غلام أحمد بن عيسى ابن شيخ - حمل فى جماعة من أصحابه رهاء مائة رجل على ميمنة أبى سعيد ؛ فوغلّوا فيهم ، فقتل وجميع من معه ، وحمل الجنّابيّ وأصحابه على أصحاب العباس ، فانهزموا ، فاستأسر العباس ، وأسِر من أصحابه رهاء سبعمائة رجل ، واحتوى الجنّابيّ على ما كان فى عسكر العباس ؛ فلما كان من غد يوم الوقعة أحضر الجنّابيّ من كان أسِر من أصحاب العباس ، فقتلهم جميعاً ، ثم أمر بحطب فطرح عليهم ، وأحرقهم .

وكانت هذه الوقعة - فيما ذكر - فى آخر رجب ، وورد خبرها بغداد لأربع خلون من شعبان .

*

وفيها - فيما ذكر - صار الجنابيّ إلى هَجَر ، فدخلها وآمن أهلها ؛
وذلك بعد منصرفه من وقعة العباس ، وانصرف فلُ أصحاب العباس بن
عمرو يريدون البصرة ، ولم يكن أفلت منهم إلا القليل بغير أزواد
ولا كسًا ، فخرج إليهم من البصرة جماعة بنحو من أربعمئة راحلة ،
عليها الأطعمة والكسا والماء ، فخرج عليهم - فيما ذكر - بنو أسد ،
فأخذوا تلك الرواحل بما عليها ، وقتلوا جماعة ممن كان مع تلك الرواحل
ومن أفلت من أصحاب العباس ؛ وذلك في شهر رمضان ؛ فاضطربت
البصرة لذلك اضطرابًا شديدًا وهموا بالانتقال عنها ، فمنعهم أحمد بن
محمد الوثائق المتولّى لمعاونها من ذلك ، وتخوفوا هجوم القرامطة عليهم .

ولثمان خلّون من شهر رمضان منها - فيما ذكر - وردت خريطة
على السلطان من الأبلّة بموافاة العباس بن عمرو في مركب من مراكب
البحر ، وأن أبا سعيد الجنابيّ أطلقه وخادمًا له .

ولإحدى عشرة خلّت من شهر رمضان ، وافى العباس بن عمرو
مدينة السلام ، وصار إلى دار المعتضد بالثريا ، فذكر أنه بقى عند الجنابيّ
أيامًا بعد الوقعة ، ثم دعا به ، فقال له : أتحبّ أن أطلقك ؟ ، قال :
نعم ، قال : امض وعرفّ الذى وجّه بك إلىّ ما رأيت . وحمله على
رواحل ، وضمّ إليه رجالا من أصحابه ، وحملهم ما يحتاجون إليه من
الزاد والماء ، وأمر الرجال الذين وجّههم معه أن يؤدّوه إلى مأمّنه ،

فساروا به حتى وصل إلى بعض السواحل ، فصادف به مركباً ، فحمله ،
فصار إلى الأبلّة ، فخلع عليه المعتضد وصرفه إلى منزله .

وفى يوم الخميس لإحدى عشرة خلت من شوال ارتحل المعتضد من
مَضْرَبِه بباب الشّمْاسية فى طلب وصيف خادم ابن أبى الساج ، وكنتم
ذلك ، وأظهر أنه يريد ناحية ديار مَضَر .

وفى يوم الجمعة لاثنتى عشرة خلت منه ، ورد الخبر - فيما ذكر -
على السلطان أن القرامطة بالسواد من أهل جَنْبَلَاء وثبوا بوالهم بدر غلام
الطائيّ ، فقتلوا من المسلمين جمعاً فيهم النساء والصبيان ، وأحرقوا
المنارل .

ولأربع عشرة خلت من ذى القعدة نزل المعتضد كنيسة السوءاء فى
طلب وصيف الخادم ، فأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، حتى
تلاحق به الناس ، وأراد الرحيل فى طريق المصيّصة ، فأتته العيون أن
الخادم يريد عين رربة ، فأحضر الركّاضة الثغريّين وأهل الخبرة ، فسألهم
عن أقصد الطريق إلى عين رربة ، فقطعوا به جيحان غداة الخميس لسبع
عشرة خلت من ذى القعدة ، فقدّم ابنه عليّاً ومعه الحسن بن علىّ كوره ،
وأتبعه بجعفر بن سَعْر ، ثم أتبع جعفرًا محمد بن كُمُشْجُور ، ثم أتبعه
خاقان المفلحىّ ، ثم مؤنس الخادم ، ثم مؤنس الخازن ، ثم مضى فى
آثارهم مع غلمان الحجر ، ومرّ بعين رربة ؛ وضرب له بها مضرب ،
وخلف بها خفيّاً السمرقندىّ مع سواده ، وسار هو قاصداً للخادم فى أثر

القوَاد ، فلما كان بعد صلاة العصر جاءت به البشارات بأخذ الخادم ، ووافوا به المعتضد ، فسلمه إلى مؤنس الخادم وهو يومئذ صاحب شرطة العسكر ، وأمر ببذل الأمان لأصحاب الخادم والنداء في العسكر ببراءة الذمة ممن وُجد في رحلة شيء من نهب عسكر الخادم ، ولم يرده على أصحابه ؛ فردّ الناس على كثير منهم ما انتهبوا من عسكرهم . وكانت الوقعة وأسروا وصيف الخادم - فيما قيل - يوم الخميس لثلاث عشرة بقية من ذي القعدة ، وكان من اليوم الذي ارتحل المعتضد فيه من مضربه بباب الشماسية إلى أن قبض على الخادم ستة وثلاثون يوماً .

وفي يوم السبت لاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة أوقع بدر غلام الطائي بالقرامطة على غرة منهم بنواحي روزمستان وغيرها ، فقتل منهم - فيما ذكر - مقتلة عظيمة . ثم تركهم خوفاً على السواد أن يخرب ؛ إذ كانوا فلاحيه وعماله ، وطلب رؤساءهم في أماكنهم ، فقتل من ظفر به منهم ؛ وكان السلطان قد قوى بدرًا بجماعة من جنده وغلمانه بسببهم للحدث الذي كان منهم .

سنة ٢٨٨ : أهم الأحداث :

فمن ذلك ما كان من ورود الخبر على السلطان - فيما ذكر - بوقوع الرباء بأذربيجان ، فمات منه خلق كثير إلى أن فقد الناس ما يكفنون به

الموتى ، فكفّنوا فى الاكسية واللبود ، ثم صاروا إلى أن لم يجدوا مَنْ
يدفن الموتى ، فكانوا يتركونهم مطروحين فى الطرق .

وفىها غزا نزار بن محمد عامل الحسن بن علىّ كورة الصائفة ، ففتح
حصونًا كثيرة للروم ، وأدخل طرسُوس مائة عِلْجٍ وَثِقًا وستين عِلْجًا
من القوامسة والشمامسة وصلبائًا كثيرًا وأعلامًا لهم ، فوجهها كوره إلى
بغداد .

ولاثنتى عشرة خلتُ من ذى الحِجَّة وردت كتب من الرِّقَّة أن الروم
وافتُ فى مراكز كثيرة ، وجاء قومٌ منهم على الظهر إلى ناحية كَيْسُون ،
فاستاقوا من المسلمين أكثر من خمسة عشر ألف إنسان ؛ ما بين رجل
وامرأة وصبيّ ، فمضوا بهم ، وأخذوا فيهم قومًا من أهل الذمة .

وفىها قرب أصحاب أبى سعيد الجنابىّ من البصرة ، واشتدّ جَزَعُ أهل
البصرة منهم حتى همّوا بالهرب منها والنقلة عنها ، فمنعهم من ذلك
واليهم .

وفى آخر ذى الحِجَّة منها قُتِلَ وصيف خادم ابن أبى الساج ، فحملت
جثته فصلبت بالجانب الشرقى . وقيل إنه مات ولم يقتل ، فلما مات
احتزّ رأسه .

سنة ٢٨٩ - أهم الأحداث :

فمن ذلك ما كان من انتشار القرامطة بسواد الكوفة ، فوجه إليهم شبل غلام أحمد بن محمد الطائي ، وثقدهم إليه في طلبهم ، وأخذ من ظفر به منهم وحملهم إلى باب السلطان . وظفر برئيس لهم يعرف بابن أبي فوارس ، فوجه به معهم ، فدعا به المعتضد لثمان بقين من المحرم ، فسأله ، ثم أمر به فقلعت أضراسه ، ثم خلع بمد إحدى يديه - فيما ذكره - ببكرة ، وعلق في الأخرى صخرة ، وترك على حاله تلك من نصف النهار إلى المغرب ، ثم قطعت يداه ورجلاه من غد ذلك اليوم ، وضربت عنقه ، وصلب بالجانب الشرقي ، ثم حملت جسده بعد أيام إلى الياسرية ، فصلب مع من صلب هنالك من القرامطة .

وليلتين خلتا من شهر ربيع الأول ، أخرج من كانت له دار وحانوت بباب الشماسية عن داره وحانوته ، وقيل لهم : خذوا أقفاصكم واخرجوا ؛ وذلك أن المعتضد كان قد قدر أن يبنى لنفسه دارا يسكنها ، فخط موضع السور ، وحفر بعضه ، وابتدأ في بناء دكة على دجلة ، كان المعتضد أمر ببنائها لينتقل فيقيم فيها إلى أن يفرغ من بناء الدار والقصر .

وفي ربيع الآخر منها في ليلة الأمير توفى المعتضد ، فلما كان في صبيحتها أحضر دار السلطان يوسف بن يعقوب وأبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز وأبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ، وحضر الصلاة عليه الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان ، وأبو خازم وأبو عمر والحرم

والخاصة ، وكان أوصى أن يُدفن فى دار محمد بن عبد الله بن طاهر ،
فحفر له فيها ، فحمل من قصره المعروف بالحسنى ليلا ، فدفن فى قبره
هناك .

ولسبع بقين من شهر ربيع الآخر من هذه السنة - وهى سنة تسع
وثمانين ومائتين - جلس القاسم بن عبيد الله بن سليمان فى دار السلطان
فى الحسنى ، وأذن للناس ، فعزّوه بالمعتضد ، وهنّوه بما جدّد له من أمر
المكتفى ، وتقدّم إلى الكتاب والقوادر فى تجديد البيعة للمكتفى بالله ،
فقبلوا .

خلافة المكتفى بالله :

ولما تُوفّي المعتضد كتب القاسم بن عبيد الله بالخبر إلى المكتفى
كتبا ، وأنفذها من ساعته ؛ وكان المكتفى مقيما بالرقّة ، فلما وصل الخبر
إليه أمر الحسين بن عمرو النصرانى كاتبه يومئذ بأخذ البيعة على من فى
عسكره ، ووضع العطاء لهم ، ففعل ذلك الحسين ، ثم خرج شاخصا
من الرقّة إلى بغداد ، ووجه إلى النواحي بديار ربيعة وديار مضر ونواحي
المغرب من يضبطها .

وفى يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الأولى دخل المكتفى إلى
داره بالحسنى ؛ فلما صار إلى منزله ، أمر بهدم المطامير التى كان أبوه
اتّخذها لأهل الجرائم .

وفى هذا اليوم كنى المكتفى بلسانه القاسم بن عبيد الله وخلع عليه .

وفى هذا اليوم مات عمرو بن الليث الصفار ، ودُفن فى غد هذا اليوم بالقرب من القصر الحسنى ، وقد كان المعتضد - فيما ذكر - عند موته بعد ما امتنع من الكلام أمر صافيا الحرّمى بقتل عمرو بالإيماء والإشارة ، ووضع يده على رقبته وعلى عينه ، أراد ذبح الأعور فلم يفعل ذلك صافى لعلمه بحال المعتضد وقرب وفاته ، وكبره قتل عمرو ، فلما دخل المكتفى بغداد سأل - فيما قيل - القاسم بن عبيد الله عن عمرو : أحيى هو ؟ قال : نعم ، فسرّ بحياته . وذكر أنه يريد أن يحسن إليه ، وكان عمرو يهدى إلى المكتفى ويبرّه برّاً كثيراً أيام مقامه بالرّى فأراد مكافأته ، فذكروا أن القاسم بن عبيد الله كره ذلك ، ودسّ إلى عمرو من قتله .

وفى رجب منها ورد الخبر لأربع بقين منه أن جماعة من أهل الرّى كاتبوا محمد بن هارون الذى كان إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان استعمله على طبرستان بعد قتله محمد بن زيد العلوى ، فخلع محمد بن هارون وبيّض ، فسألوه المصير إلى الرّى ليدخلوه إليها ؛ وذلك أن أوكر تُمش التركى المولّى عليهم كان - فيما ذكر - قد أساء السيرة فيهم ، فحاربه ، فهزمه محمد بن هارون وقتله ، وقتل ابنين له وقائداً من قوّة السلطان يقال له أبرون أخو كيغىغ ، ودخل محمد بن هارون الرّى واستولى عليها .

وفى رجب من هذه السنة زلزلت بغداد ، ودامت الزلزلة فيها أياماً
ولياالى كثيرة .

سنة ٢٨٩ :

وفيهما ظهر بالشام رجل جمع جموعاً كثيرة من الأعراب وغيرهم ،
فأتى بهم دمشق ، وبها طُغْج بن جُفٍّ من قبَل هارون بن خمارويه بن
أحمد بن طولون على المعونة ، وذلك فى آخر هذه السنة ، فكانت بين
طُغْج ، وبينه وقعات كثيرة قُتِل فيها - فيما ذكر - خلق كثير .

*

ذكر خبر هذا الرجل

الذى ظهر بالشام وما كان من سبب ظهوره بها

ذكر أن رُكُويَه بن مَهِرويه الذى ذكرنا أنه كان داعية قرمط لما تتابع
من المعتضد توجيه الجيوش إلى من بسواد الكوفة من القرامطة ، وألحَّ فى
طلبهم ، وأثخن فيهم القتلى ، ورأى أنه لا مدفع عن أنفسهم عند أهل
السواد ولا غناء ، سعى فى استغواء من قَرُب من الكوفة من أعراب أسد
وطيئ وتميم وغيرهم من قبائل الأعراب ، ودعاهم إلى رأيه ؛ ورعم لهم
أنَّ مَنْ بالسواد من القرامطة يطابقونهم على أمره إن استجابوا له . فلم
يستجيبوا له ، وكانت جماعة من كُلب تخفُرُ الطريق على البرِّ بالسماوة

فيما بين الكوفة ودمشق على طريق تدُمر وغيرها ، وتحمل الرُّسل وأمتعة
التجار على إبلها ، فأرسل زكرويه أولاده إليهم ، فبايعوهم وخالطوهم ،
وانتموا إلى عليّ بن أبي طالب وإلى محمد بن إسماعيل بن جعفر ،
وذكروا أنهم خائفون من السلطان ، وأنهم ملجئون إليهم ، فقبلوهم على
ذلك ، ثم دبّوا فيهم بالدعاء إلى رأى القرمطة ؛ فلم يقبل ذلك أحد
منهم - أعنى من الكلبيين - إلا الفخذ المعروفة ببني العليّص ابن ضمضم
ابن عديّ بن جناب ومواليهم خاصة ، فبايعوا في آخر سنة تسع وثمانين
ومائتين بناحية السماوة ابنَ زكريه المسمى بيحيى والمكنى أبا القاسم ،
ولقبوه الشيخ ، على أمر احتال فيهم ، ولقب به نفسه ، وزعم لهم أنه
أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد .

وقد قيل : إنه زعم أنه محمد بن عبد الله بن يحيى . وقيل إنه زعم
إنه محمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن
عليّ بن الحسين بن عليّ ابن أبي طالب . وقيل إنه لم يكن لمحمد بن
إسماعيل ابنٌ يسمى عبد الله ، وزعم لهم أن أباه المعروف بأبي محمود
داعيةٌ له ، وأنّ له بالسَّواد والمشرق والمغرب مائة ألف تابع ، وأن ناقته
التي يركبها مأمورة ، وأنهم إذا اتبعوها في مسيرها ظفروا . وتكهّن لهم ،
وأظهر عضداً له ناقصة ، وذكر أنها آية ، وانحازت إليه جماعة من بني
الأصبغ ، وأخلصوا له وتسمّوا بالفاطميّين ، ودانوا بدينه ، فقصدتهم
سُبُك الديلميّ مولى المعتضد بالله بناحية الرُّصافة ، واعترضوا كلّ قرية

اجتازوا بها حتى أصعدوا إلى أعمال الشام التي كان هارون بن خمارويه قوطع عليها ، وأسند أمرها هارون إلى طُغْج بن جُفّ ، فأناخ عليها ، وهزم كلّ عسكر لقيه لطُغْج حتى حصره في مدينة دمشق ، فأنفذ المصريون إليه بدرًا الكبير غـ . ثم ابن طولون ، فاجتمع مع طُغْج على محاربته ، فواقعهم قريباً من دمشق ، فقتل الله عدوّ الله يحيى بن زكرويه .

وكان سبب قتله - فيما ذكر - أن بعض البرابرة زرقة بمزراق^(١) واتبعه نفاط ، فزرقه بالنار فأحرقه ؛ وذلك في كبد الحرب وشدتها ، ثم دارت على المصريين الحرب ، فأنحازوا ، فاجتمعت موالى بنى العليّص إلى بنى العليّص ومنّ معهم من الأصبغيّين وغيرهم على نصب الحسين بن زكرويه أخى الملقب بالشيخ فنصبوا أخاه ، وزعم لهم أنه أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد وهو ابن نيّف وعشرين سنة ، وقد كان الملقّب بالشيخ حمل موالى بنى العليّص على صريحهم ، فقتلوا جماعةً منهم ، واستذلّوهم ، فبايعوا الحسين بن زكرويه المسمّى بأحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بعد أخيه ، فأظهر شامة في وجهه ذكر أنها آيته ، وطرأ إليه ابن عمّه عيسى ابن مهرويه المسمى عبد الله ، وزعم أنه عبد الله بن أحمد بن محمد بن

(١) زرقة بالمزراق ، طعنه أو رماه به . والمزراق : رمح قصير .

إسماعيل بن جعفر بن محمد ، فلقبهُ المدثر ، وعَهد إليه ؛ وذكر أنه المعنى في السورة التي يذكر فيها المدثر ، ولقب غلاماً من أهله المطوق ، وقلده قتل أسرى المسلمين ، وظهر على المصريين ، وعلى جند حمص وغيرها من أهل الشام ، وتسمى بإمرة المؤمنين على منابرها ، وكان ذلك كله في سنة تسع وثمانين ، وفي سنة تسعين .

*

وفي اليوم التاسع من ذى الحجة من هذه السنة صلى الناس العصر في قمص الصيف ببغداد ، فهبت ريح الشمال عند العصر ، فبرد الهواء حتى احتاج الناس بها من شدة البرد إلى الوقود والاصطلاء بالنار ، ولبس المحشو والجباب ، وجعل البرد يزداد حتى جمد الماء .

وفيها كانت وقعة بين إسماعيل بن أحمد بالرى ومحمد بن هارون وابن هارون - فيما قيل - حيثئذ في نحو من ثمانية آلاف ، فانهزم محمد ابن هارون وتقدم . . . (١) أصحابه ، وتبعه من أصحابه نحو من ألف ، ومضوا نحو الديلم ، فدخلها مستجيراً بها ، ودخل إسماعيل بن أحمد الرى ، وصار زهاء ألف رجل - فيما ذكر - ممن انهزم من أصحابه إلى باب السلطان .

وفي جمادى الآخرة منها لأربع خلون منها ولى القاسم بن سيما

(١) بياض في الأصل .

غزو الصائفة بالشغور الجزرية ، وأطلق له من المال اثنا وثلاثون ألف دينار .

وحجّ بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي .

سنة ٢٩٠ : أهم الأحداث :

فمّا كان فيها من ذلك توجيه المكتفى رسولا إلى إسماعيل بن أحمد لليلتين خلتا من المحرّم منها بخلع ، وعقد ولاية له على الرّى ، وبهدايا مع عبد الله بن الفتح .

ولخمس بقين من المحرّم منها ورد - فيما ذكر - كتاب على بن عيسى من الرّقة ، يذكر فيه أن القرمطىّ بن زكرويه المعروف بالشيخ ، وافى الرّقة في جمّع كثير ، فخرج إليه جماعة من أصحاب السلطان ورئيسهم سُبّك غلام المكتفى ، فواقعوه ، فقتل سُبّك ، وانهزم أصحاب السلطان .

ولستّ نخلون من شهر ربيع الآخر ورد الخبر بأن طعج بن جفّ أخرج من دمشق جيشا إلى القرمطىّ ، عليهم غلام له يقال له بشير ، فواقعهم القرمطىّ ، فهزم الجيش وقتل بشيرا .

ولثلاث عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر خلّع على أبى الأغرّ ووُجّه به لحرب القرمطىّ بناحية الشّام ، فمضى إلى حلب في عشرة آلاف رجل .

ولإحدى عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر خلع على أبي العشائر
أحمد بن نصر وولّى طرسوس . وعزل عنها مظفر بن حاج لشكاية أهل
الغور إياه .

وللنصف من جمادى الأولى من هذه السنة ، وردت كتب التجار إلى
بغداد من دمشق مؤرخة لسبع بقين من ربيع الآخر يخبرون فيها أن
القرمطى الملقب بالشيخ قد هزم طنج غير مرة ، وقتل أصحابه إلا
القليل ، وأنه قد بقى فى قلة وامتنع من الخروج ، وإنما تجتمع العامة ،
ثم تخرج للقتال ، وأنهم قد أشرفوا على الهلكة ، فاجتمعت جماعة من
تجار بغداد فى هذا اليوم ، فمضوا إلى يوسف بن يعقوب ، فأقرءوه
كتبهم ، وسألوه المضى إلى الوزير ليخبره خبر أهل دمشق ، فوعدهم
ذلك .

ولسبع بقين من جمادى الأولى أحضر دار السلطان أبو خازم ويوسف
وابنه محمد ، وأحضر صاحب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث ،
فقوطع على مال فارس ، ثم عقد المكتفى لطاهر على أعمال فارس ،
ونخلع على صاحبه ، وحملت إليه خلع مع العقد .

وفى جمادى الأولى هرب من مدينة السلام القائد المستأمن المعروف
بأبى سعيد الخوارزمى ، وأخذ نحو طريق الموصل ، فكتب إلى عبد الله
المعروف بسلام نون ، وكان يتقلد معاون بتكريت والأعمال المتصلة بها
إلى حد سامرا وإلى الموصل فى معارضته وأخذه ، فزعموا أن عبد الله

عارضه ، فاخذعه أبو سعيد حتى اجتمعا جميعاً على غير حرب ، ففتك به أبو سعيد فقتله ، ومضى أبو سعيد نحو شهرزور ، فاجتمع هو وابن أبي الربيع الكردي ، وصاهره ، واجتمعا على عصيان السلطان . ثم إنَّ أبا سعيد قُتل بعد ذلك ، وتفرَّق مَنْ كان اجتمع إليه .

ولعشر خلون من جمادى الآخرة ، شخص أبو العشائر إلى عمله بطرسوس ، وخرج معه جماعة من المطوعة للغزو ، ومعه هدايا من المكتفى إلى ملك الروم .

ولعشر بقين من جمادى الآخرة خرج المكتفى بعد العصر عامداً سامراً ، مريداً البناء بها للانتقال إليها ، فدخلها يوم الخميس لخمس بقين من جمادى الآخرة ، ثم انصرف إلى مضارب قد ضربت له بالجوسق ، فدعا القاسم بن عبيد الله والقوَّام بالبناء ، فقدَّ روا له البناء وما يحتاج إليه من المال للنفقة عليه ، فكثروا عليه في ذلك ، وطوَّلوا مدَّة الفراغ بما أراد بناءه ، وجعل القاسم يصرفه عن رأيه في ذلك ، ويعظَّم أمر النفقة في ذلك وقدر مبلغ المال ، فثناه عن عزمه ، ودعا بالغداء ، فتغدَّى ثم نام ، فلما هبَّ من نومه ركب إلى الشطِّ ، وقعد في الطيَّار ، وأمر القاسم بن عبيد الله بالانحدار . ورجع أكثر الناس من الطريق قبل أن يصلوا إلى سامراً حين تلقَّاهم الناس راجعين .

ولسبع خلون من رجب خُلع على ابني القاسم بن عبيد الله ، فوَلَّى الأكبر منهما ضياع الولد والحرم والنفقات ، والأصغر منهما كسبة أبي

أحمد بن المكتفى ؛ وكانت هذه الأعمال إلى الحسين بن عمرو النصرانى ،
فَعُزِّلَ بهما ، وكان القاسم بن عبيد الله أَتَّهَمَ الحسين بن عمرو أنه قد
سعى به إلى المكتفى .

ثم إن الحسين بن عمرو كاشفَ القاسم بن عبيد الله بحضرة
المكتفى ، فلم يزل القاسم يدبّر عليه ، ويغلظ قلب المكتفى عليه ، حتى
وصل إلى ما أراد من أمره .

وفى يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شعبان قرئ كتابان فى
الجامعين بمدينة السلام بقتل يحيى بن زكرويه الملقب بالشيخ ، قتله
المصريون على باب دمشق ؛ وقد كانت الحرب اتّصلت بينه وبين مَنْ
حاربه من أهل دمشق وجندها ومددهم من أهل مصر ، وكسر لهم
جيوشًا ، وقتل منهم خلقًا كثيرًا ، وكان يحيى بن زكرويه هذا يركب
جمالًا برحاله ، ويلبس ثيابًا واسعة ويعتمّ عمة إعرابية ، ويتلثم ، ولم
يركب دابةً من لدن ظهر إلى أن قُتِلَ ، وأمر أصحابه ألا يحاربوا أحدًا ؛
وإن أتى عليهم حتى يبتعث الجمل من قبل نفسه ؛ وقال لهم : إذا فعلتم
ذلك لم تهزموا .

وذكر أنه كان إذا أشار بيده إلى ناحية من النواحي التى فيها
محاربوه ، انهزم أهل تلك الناحية ، فاستغوى بذلك الأعراب . ولما كان
فى اليوم الذى قُتِلَ فيه يحيى بن زكرويه الملقب بالشيخ ، وانحازوا إلى
أخيه الحسين بن زكرويه ، فطلب أخاه الشيخ فى القتلى ، فوجده ، فواراه

وعقد الحسين بن زكرويه لنفسه ، وتسمى بأحمد بن عبدالله ، وتكنى بأبي العباس .

وعلم أصحاب بدر بعد ذلك بقتل الشيخ ، فطلبوه فى القتل فلم يجدوه ، ودعا الحسين بن زكرويه إلى مثل ما دعا إليه أخوه ، فأجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم من سائر الناس ، واشتدت شوكته وظهر . وصار إلى دمشق ، فذكر أن أهلها صالحوه على خراج دفعوه إليه ، ثم انصرف عنهم ، ثم سار إلى أطراف حمص ، فتغلب عليها ، وخطب له على منابرها ، وتسمى بالمهدى ، ثم سار إلى مدينة حمص ، فأطاعه أهلها ، وفتحوا له بابها خوفاً منه على أنفسهم فدخلها ، ثم سار منها إلى حماة ومعرة النعمان وغيرهما ، فقتل أهلها ، وقتل النساء والأطفال ثم سار إلى بعلبك فقتل عامة أهلها حتى لم يبق منهم - فيما قيل - إلا اليسير ، ثم سار إلى سلمية فحاربه أهلها ومنعوه الدخول ، ثم وادعهم وأعطاهم الأمان ، ففتحوا له بابها ، فدخلها ، فبدأ بمن فيها من بنى هاشم ، وكان بها منهم جماعة فقتلهم ، ثم ثنى بأهل سلمية فقتلهم أجمعين . ثم قتل البهائم ، ثم قتل صبيان الكتائب ، ثم خرج منها ؛ وليس بها عين تطرف - فيما قيل - وسار فيما حوالى ذلك من القرى يقتل ويسبى ويحرق ويخيف السبيل .

فذكر عن متطبب باب المحول يدعى أبا الحسن أنه قال : جاء ثنى امرأة بعدما أدخل القرمطى صاحب الشامة وأصحابه بغداد ، فقالت لى :

إني أريد أن تعالج شيئاً في كتفي ، قلتُ : وما هو ؟ قالت : جرح ، قلت : أنا كحال ؛ وها هنا امرأة تعالج النساء ، وتعالج الجراحات ، فانتظري مجيئها . فقعدت ، ورأيتهما مكروبة كئيبة باكية ، فسألتها عن حالها ، وقلت : ما سبب جراحتك ؟ فقالت : قصتي تطول ، فقلت : حدثيني بها وصادقيني ، وقد خلا مَنْ كان عندي ، فقالت : كان لي ابن غاب عني ، وطالت غيبته ، وخلف عليّ أخوات له ، فضقت واحتجت . واشتقتُ إليه ، وكان شخص إلى ناحية الرقة ، فخرجتُ إلى الموصل وإلى بلد وإلى الرقة ؛ كل ذلك أطلبه ، وأسأل عنه ؛ فلم أدلّ عليه ، فخرجتُ عن الرقة في طلبه ، فوقعت في عسكر القرمطيّ ، فجعلت أطوف وأطلبه ؛ فبينما أنا كذلك إذ رأيته فتعلقت به ، فقلت : ابني ! فقال : أمي ! فقلت : نعم ، قال : ما فعل أخواتي ؟ قلت : بخير ، وشكوت ما نالنا بعده من الضيق ، فمضى بي إلى منزله ، وجلس بين يديّ ، وجعل يسألني عن أخبارنا ، فخبّرتّه ، ثم قال : دعيني من هذا وأخبريني ما دينك ؟ فقلت : يا بنيّ أما تعرفني ! فقال : وكيف لا أعرفك ! فقلت : ولمّ تسألني من ديني وأنت تعرفني وتعرف ديني ! فقال : كلّ ما كنّا فيه باطل ، والدّين ما نحن فيه الآن ، فأعظمتُ ذلك وعجبت منه ، فلما رأيته كذلك خرج وتركني . ثم وجهه إليّ بخبز ولحم وما يصلحني ، وقال : اطبخيه ، فتركته ولم أمسّه ، ثم عاد فطبخه ، وأصلح أمر منزله ، فدقّ الباب داقً ؛ فخرج إليه فإذا رجل يسأله ،

ويقول له : هذه القادمة عليك أن تُحسن أن تصلح من أمر النساء شيئاً ؟
فسألني فقلت : نعم ، فقال : امضى معي ، فمضيت فأدخلني داراً ،
وإذا امرأة تطلق ، فقعدت بين يديها ، وجعلت أكلّمها ، فلا تكلمني ،
فقال لي الرجل الذي جاء بي إليها : ما عليك من كلامها ، أصلحني أمر
هذه ، ودعني كلامها ، فأقمتُ حتى ولدت غلاماً ، وأصلحتُ من شأنه ،
وجعلت أكلّمها وأتلف بها وأقول لها : يا هذه ، لا تحتشميني ؛ فقد
وجب حقّي عليك ، أخبريني خبرك وقصّتك ومن والد هذا الصبي ،
فقالت : تسأليني عن أبيه لتطالبه بشيء يهبه لك ؟ فقلت : لا ، ولكن
أحبّ أن أعلم خبرك ، فقالت لي : إني امرأة هاشمية - ورفعت
رأسها ؛ فرأيت أحسن الناس وجهاً - وإن هؤلاء القوم أثونا ، فذهبوا
أبي وأمي وإخوتي وأهلي جميعاً ، ثم أخذني رئيسهم ، فأقمتُ عنده
خمسة أيام ، ثم أخرجني فدفعني إلى أصحابه ، فقال : طهّروها فأرادوا
قتلي ، فبكيْتُ . وكان بين يديه رجل من قوّاده ، فقال : هبها لي ،
فقال : خذها ، فأخذني ، وكان بحضرته ثلاثة أنفس قيام من أصحابه ،
فسلّوا سيوفهم ، وقالوا : لا نسلّمها إليك ؛ إمّا أن تدفعها إلينا ، وإلاّ
قتلناها . وأرادوا قتلي ، وضجّوا ، فدعاهم رئيسهم القرمطي ، وسألهم
عن خبرهم فخبّروه ، فقال : تكون لكم أربعتمكم ، فأخذوني ، فأنا
مقيمة معهم أربعتهم ، والله ما أدري ممّن هو هذا الولد منهم !

قالت : فجاء بعد المساء رجل فقالت لي : هنيئة فهنأته بالمولود ،

فأعطاني سبيكة فضة ، وجاء آخر وآخر ، أهني كل واحد منهم ،
فيعطيني سبيكة فضة ؛ فلما كان في السحر جاء جماعة مع رجل وبين
يديه شمع ، وعليه ثياب خرز تفوح منه رائحة المسك ، فقالت لى :
هني ، فقلت إليه ، فقلت : يئز الله وجهك ، والحمد لله الذى رزقك
هذا الابن ، ودعوت له ، فأعطاني سبيكة فيها ألف درهم ، وبات الرجل
فى بيت ، وبت مع المرأة فى بيت ، فلما أصبحت قلت للمرأة : يا
هذه ، قد وجب عليك حقى ، فالله الله فى ، خلصينى ا قالت : مم
أخلصك ؟ فخيرتها خبر ابنى ، وقلت لها : إنى جئت رغبة إليه ، وإنه
قال لى كيت وكيت ، وليس فى يدى منه شىء ، ولى بنات ضعاف
خلفتهن بأسوأ حال ، فخلصينى من ها هنا لأصل إلى بناتى ، فقالت :
عليك بالرجل الذى جاء آخر القوم ، فسليه ذلك ، فإنه يخلصك ،
فأقمت يومى إلى أن أمسيت ؛ فلما جاء تقدمت إليه ، وقبلى يده
ورجله ، وقلت : يا سيدى قد وجب حقى عليك ، وقد أغنانى الله على
يديك بما أعطيتنى ، ولى بنات ضعاف فقراء ، فإن أذنت لى أن أمضى
فأجيئك ببناتى حتى يخدمنك ويكن بين يديك ! فقال : وتفعلين ؟
قلت : نعم ، فدعا قوماً من غلمانه . فقال : امضوا معها حتى تبلغوا بها
موضع كذا وكذا ، ثم اتركوها وارجعوا . فحملونى على دابة ، ومضوا
بى ، قالت : فبينما نحن نسير ، وإذا أنا يابنى يركض ، وقد كنا سرنا
عشرة فراسخ - فيما خبرنى به القوم الذين معى - فلحقنى وقال : يا

فاعلة ، رعمتِ أنك تمضين وتجيئين بيناتك ! وسلّ سيفه ليضربني ،
فمنعه القوم ، فلاحقني طرف السيف ، فوقع في كتفي ، وسلّ القوم
سيوفهم ، فأرادوه ، فتنخّى عني . وساروا بي حتى بلغوا بي الموضع
الذي سمّاه لهم صاحبهم ، فتركوني ومضوا ، فتقدّمت إلى ها هنا وقد
طفتُ لعلاج جرحي ، فوصف لي هذا الموضع ، فجئت إلى ها هنا .
قالت : ولما قدم أمير المؤمنين بالقرمطيّ وبالأسارى من أصحابه خرجتُ
لأنظر إليهم ؛ فرأيت ابني فيهم على جمل ؛ عليه برنس وهو ييكى وهو
فتى شاب ، فقلت له : لا خفّ الله عنك ولا خلّصك ! قال المتطبّب :
فقت معها إلى المتطبّبة لما جاءت ، وأوصيتها بها ، فعالجت جرحها
وأعطتها مرهماً ، فسألت المتطبّبة عنها بعد منصرفها ، فقالت : قد
وضعت يدي على الجرح ، وقلت : انفحى ، فنفحت فخرجتُ الريح من
الجرح من تحت يدي ، وما أراها تبرأ منه ، ومضت فلم تعد إلينا .

ولإحدى عشرة بقيت من شوال من هذه السنة ، قبض القاسم بن
عبيد الله على الحسين بن عمرو النصرانيّ ، وحبسه ، وذلك أنه لم يزل
يسعى في أمره إلى المكتفى ، ويقده فيه عنده ؛ حتى أمره بالقبض عليه ،
وهرب كاتب الحسين ابن عمرو حتى قبض على الحسين المعروف
بالشيرازيّ ، فطُلب وكُبِسَت منازل جيرانه ، ونُودى : مَنْ وجده فله كذا
وكذا ، فلم يوجد .

ولسبع بقين منه صُرف الحسين بن عمرو إلى منزله ، على أن يخرج

من بغداد . وفى الجمعة التى بعدها خرج الحسين بن عمرو وحُدِرَ إلى ناحية واسط على وجه النفى ، ووُجد الشيرازى كاتبه لثلاث خلون من ذى القعدة .

ولليلتين خلتا من شهر رمضان من هذه السنة أمر المكتفى بإعطاء الجند أَرْزاقَهُم والتأهّب للشخص لحرب القرمطىّ بناحية الشّام ، فأطلق للجند فى دفعة واحدة مائة ألف دينار ؛ وذلك أنّ أهل مصر كتبوا إلى المكتفى يشكّون ما لقُوا من ابن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ، وأنه قد أخرب البلاد ، وقتل الناس ، وما لقُوا من أخيه قبله وقتلهم رجالهم ، وأنه لم يبق منهم إلا العدد اليسير .

ولخمس خلون من شهر رمضان أخرجت مضارب المكتفى ، فضربت بباب الشّماسية .

ولسبع خلون منه خرج المكتفى من السّحر إلى مضربه بباب الشّماسية ، ومعه قواده وغلماناه وجيوشه .

ولاثنتى عشرة ليلة من شهر رمضان ، رحل المكتفى من مضربه بباب الشّماسية فى السّحر ، وسلك طريق الموصل .

وللنصف من شهر رمضان منها مضى أبو الأغرّ إلى حلب ، فنزل وادى بطنان قريباً من حلب ، ونزل معه جميع أصحابه ، فنزع - فيما ذكر - جماعة من أصحابه ثيابهم ، ودخلوا الوادى يتبرّدون بماء ، وكان

يومًا شديد الحرّ ؛ فبيناهم كذلك إذ وافى جيش القرمطى المعروف بصاحب الشامة ، وقد بدرهم المعروف بالمطوق ، فكبسهم على تلك الحال ، فقتل منهم خلقًا كثيرًا وانتهب العسكر ، وأفلت أبو الأغرّ فى جماعة من أصحابه ، فدخل حلب ، وأفلت معه مقدار ألف رجل ، وكان فى عشرة آلاف بين فارس وراجل ، وكان قد ضمّ إليه جماعة ممن كان على باب السلطان من قوَاد الفراغة ورجالهم ، فلم يفلت منهم إلا اليسير . ثم صار أصحاب القرمطى إلى باب حلب ، فحاربهم أبو الأغرّ ومن بقي معه من أصحابه وأهل البلد ، فانصرفوا عنه بما أخذوا من عسكره من الكراع والسلاح والأموال والأمتعة بعد حرب كانت بينهم ، ومضى المكتفى بمنّ معه من الجيش حتى انتهى إلى الرقة ، فنزلها ، وسرّح الجيوش إلى القرمطى جيشًا بعد جيش .

وليلتين خلتا من شوال ورد مدينة السلام كتابٌ من القاسم بن عبيد الله ، يخبر فيه أن كتابًا ورد عليه من دمشق من بدر الحمامى صاحب ابن طولون ، يخبر فيه أنه واقع القرمطى صاحب الشامة ، فهزمه ووضع فى أصحابه السيف ، ومضى من أفلت منهم نحو البادية ، وأن أمير المؤمنين وجّه فى أثره الحسين بن حمدان بن حمدون وغيره من القوَاد .

وورد أيضًا فى هذه الأيام - فيما ذكر - كتاب من البحرين من أميرها ابن بانوا ، يذكر فيه أنه كبس حصنًا للقرامطة ، فظفر بمن فيه .

ولثلاث عشرة خلّت من ذى القعدة منها - فيما ذكر - ورد كتاب

آخر من ابن بانوا من البحرين ، يذكر فيه أنه واقع قرابة لأبى سعيد الجنابى ، وولىّ عهده من بعده على أهل طاعته ، فهزمه ، وكان مقام هذا المهزوم بالقطيف فوجد بعدما انهزم أصحابه قتيلا بين القتلى ، فاحتزّ رأسه ، وأنه دخل القطيف فافتتحها .

سنة ٢٩١ - أهم الأحداث :

[ذكر خبر الواقعة بين أصحاب السلطان وصاحب الشامة]

فمن ذلك ما كان من أمر الواقعة بين أصحاب السلطان وصاحب الشامة :

ذكر الخبر عن هذه الواقعة :

قال أبو جعفر : قد مضى ذكرى شخوص المكتفى من مدينة السلام نحو صاحب الشامة لحربه ومصيره إلى الرقة ، وبثه جيوشه فيما بين حلب وحمص ، وتوليته حرب صاحب الشامة محمد بن سليمان الكاتب وتصديره أمر جيشه وقواده إليه ؛ فلما دخلت هذه السنة كتب وزيره القاسم بن عبيد الله إلى محمد بن سليمان وقواد السلطان يأمره وإياهم بمناهضة ذى الشامة وأصحابه ، فساروا إليه حتى صاروا إلى موضع بينهم وبين حماة - فيما قيل - اثنا عشر ميلا ، فلقوا به أصحاب القرمطى فى يوم الثلاثاء لست خلون من المحرم ، وكان القرمطى قدّم أصحابه وتخلّف هو فى جماعة من أصحابه ، ومعه مالٌ قد كان جمعه ، وجعل السواد

وراءه ، فالتحمت الحرب بين أصحاب السلطان وأصحاب القرمطى ، واشتدّت ، فهُزم أصحاب القرمطى ، وقتلوا ، وأسِرَ من رجالهم بشرٌ كثير ، وتفرّق الباقيون في البوادي ، وتبعهم أصحاب السلطان ليلة الأربعاء لسبع خلون من المحرم . فلما رأى القرمطى ما نزل بأصحابه من الفلول والهزيمة حمّل - فيما قيل - أخًا له يكنى أبا الفضل مالا ، وتقدّم إليه أن يلحق بالبوادي إلى أن يظهر في موضع ، فيصير إليه ، وركب هو وابن عمّه المسمّى المدثر المطوّق صاحبه وغلّام له رومى . وأخذ دليلا ، وسار يريد الكوفة عرّضا في البريّة ، حتى انتهى إلى موضع يعرف بالدّالية من أعمال طريق الفرات ، فنجد ما كان معهم من الزّاد والعلف ، فوجّه بعض من كان معه ليأخذ له ما يحتاجون إليه ، فدخل الدالية المعروفة بدالية ابن طوق لشراء حاجه ، فأثكروا ريّة ، وسئل عن أمره فمجمع^(١) ، فأعلم المتولى مسلحة هذه الناحية بخبره ، وهو رجل يعرف بأبى خبزة خليفة أحمد بن محمد بن كُشَمَرْد عامل أمير المؤمنين المكتفى على معاون بالرحبة وطريق الفرات . فركب في جماعة ، وسأل هذا الرجل عن خبره ، فأخبره أن الشامة خلف رايبة هنالك في ثلاثة نفر .

فمضى إليهم ، فأخذهم وصار بهم إلى صاحبه ، فتوجّه بهم ابن

(١) قال في اللسان : « مجمع بى يجمع ؛ إذا ذهب بك في الكلام مذهبا غير الاستقامة وردك من حال إلى حال » .

كُشْمَرْد وأبو خبزة إلى المكتفى بالرقّة ، ورجعت الجيوش من الطلب بعد أن قتلوا وأسروا جميع مَنْ قَدَرُوا عليه من أولياء القرمطى وأشياعه ، وكتب محمد بن سليمان إلى الوزير بالفتح قائلاً :

بسم الله الرحمن الرحيم . قد تقدّمت كتبى إلى الوزير أعزه الله فى خبر القرمطى اللعين وأشياعه ؛ بما أرجو أن يكون قد وصل إن شاء الله . ولما كان فى يوم الثلاثاء لست ليال خلون من المحرم رحلتُ من الموضع المعروف بالقروانة ، نحو موضع يعرف بالعليانة ، فى جميع العسكر من الأولياء ، ورَحَفْنَا بهم على مراتبهم فى القلب والميمنة والميسرة وغير ذلك ؛ فلم أبعد أن وافانى الخبر بأن الكافر القرمطى أنفذ النعمان. ابن أخى إسماعيل بن النعمان أحد دعاة فى ثلاثة آلاف فارس ، وخلق من الرّجّالة ، وإنه نزل بموضع يعرف بتمنع ، بينه وبين حماة اثنا عشر ميلاً ، فاجتمع إليه جميع مَنْ كان بمعرّة النعمان وبناحية الفصيصىّ وسائر النواحي من الفرسان والرّجّالة ، فأسررت ذلك عن القوَاد والناس جميعاً ولم أظهره ، وسألتُ الدّليل الذى كان معى عن هذا الموضع ، وكم بيننا وبينه ، فذكر أنه ستة أميال ، فتوكّلت على الله عزّ وجلّ ، وتقدّمت إليه فى المسير نحوه ، فمال بالناس جميعاً ، وسرنا حتى وافيتُ الكفرة ، فوجدتهم على تعبئة ، ورأينا طلائعهم . فلما نظروا إلينا مقبلين رحفوا نحونا ، وسرنا إليهم ، فافترقوا ستّة كرايس ، وجعلوا على ميسرتهم - على ما أخبرنى من ظفرتُ به من رؤسائهم - مسروراً العليصىّ وأبا

الحمل وغلّام هارون العليّصيّ ، وأبا العذاب ورجاء وصافى وأبا يعلى العلوىّ ، فى ألف وخمسمائة فارس ، وكمّنوا كمينًا فى أربعمائة فارس خلف ميسرتهم بإزاء ميمنتنا ، وجعلوا فى القلب النعمان العليّصيّ والمعروف بأبى الخطّى ، والحمارىّ وجماعة من بطلانهم فى ألف وأربعمائة فارس وثلاثة آلاف راجل ، وفى ميمنتهم كليبًا العليّصيّ والمعروف بالسديد العليّصيّ والحسين بن العليّصيّ وأبا الجراح العليّصيّ وحميد العليّصيّ وجماعة من نظرائهم فى ألف وأربعمائة فارس ، وكمّنوا مائتى فارس ؛ فلم يزالوا رِفًا إلينا ونحن نسير نحوهم غير متفرّقين ، متوكّلين على الله عزّ وجلّ . وقد استحثّشتُ الأولياء والغلمان وسائر الناس غيرهم ، ووعدتهم . فلما رأى بعضنا بعضًا حمل الكردوس الذى كان فى ميسرتهم ضربًا بالسياط ، فقصد الحسين بن حمدان ، وهو فى جناح الميمنة ، فاستقبلهم الحسين - بارك الله عليه وأحسن جزاءه - بوجهه وبموضعه من سائر أصحابه برماحهم ، فكسروها فى صدورهم ، فانفلّوا عنهم ، وعادوا القرامطة الحمل عليهم ، فأخذوا السيوف ، واعترضوا ضربًا للوجوه فصُرِعَ من الكفار الفجرة ستمائة فرس فى أوّل وقعة ، وأخذ أصحاب الحسين خمسمائة فرس وأربعمائة طوق فضة ، وولّوا مدبرين مفلولين ، واتّبعهم الحسين ، فرجعوا عليه ، فلم يزالوا حملة وحملة ، وفى خلال ذلك يصرع منهم الجماعة بعد الجماعة ؛ حتى أفناهم الله عزّ وجلّ ، فلم يفلت منهم إلّا أقلّ من مائتى رجل .

وحمل الكردوس الذى كان فى ميمنتهم على القايسم بن سيما ويؤمن

الخادم وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا مِنْ بَنِي شَيْبَانَ وَبَنِي تَمِيمٍ ، فَاسْتَقْبَلُوهُمْ بِالرَّمَا حِ
حَتَّى كَسَرُوهَا فِيهِمْ ؛ وَاعْتَنَقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَقَتِلَ مِنَ الْفَجْرِ جَمَاعَةٌ
كَثِيرَةٌ . وَحُمِلَ عَلَيْهِمْ فِي وَقْتِ حَمَلَتِهِمْ خَلِيفَةُ بْنُ الْمُبَارَكِ وَلَوْلَوْ ، وَكَنتَ
قَدْ جَعَلْتَهُ جَنَاحًا لَخَلِيفَةٍ فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارَسٍ ، وَجَمِيعِ أَصْحَابِ خَلِيفَةٍ ؛ وَهُمْ
يَعَارِكُونَ بَنِي شَيْبَانَ وَتَمِيمَ ، فَقَتِلَ مِنَ الْكُفْرِ مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَاتَّبَعُوهُمْ ،
فَأَخَذَ بَنُو شَيْبَانَ مِنْهُمْ ثَلَاثِمِائَةَ فَرَسٍ وَمِائَةَ طَوْقٍ ، وَأَخَذَ أَصْحَابُ خَلِيفَةٍ
مِثْلَ ذَلِكَ ؛ وَرَحَفَ النِّعْمَانُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْقَلْبِ إِلَيْنَا ، فَحَمَلْتُ وَمَنْ
مَعِيَ ، وَكَنتَ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْمِئْمَنَةِ ، وَحُمِلَ خَاقَانُ وَنَصْرُ الْقَشُورِيِّ وَمُحَمَّدُ
ابْنُ كُمُشْجُورٍ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ فِي الْمِئْمَنَةِ ، وَوَصِيفُ مُوشَكِيرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ
إِسْحَاقَ بْنِ كُنْدَاجِيقٍ وَابْنَا كَيْغَلْغِ وَالْمُبَارَكُ الْقَمِّيَّ وَرَبِيعَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُهَاجِرُ
ابْنِ طَلِيقٍ وَالْمُظَفَّرُ بْنُ حَاجٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمْدَانَ وَحَيُّ الْكَبِيرِ وَوَصِيفُ
الْبَكْتَمَرِيِّ وَبِشْرُ الْبَكْتَمَرِيِّ وَمُحَمَّدُ بْنُ قَرَاطُغَانَ .

وَكَانَ فِي جَنَاحِ الْمِئْمَنَةِ جَمِيعُ مَنْ حُمِلَ عَلَى مَنْ فِي الْقَلْبِ وَمَنْ
انْقَطَعَ مِمَّنْ كَانَ حُمِلَ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ ، فَلَمْ يَزَالُوا يَقْتُلُونَ الْكُفَّارَ
فَرَسَانَهُمْ وَرَجَالَتَهُمْ حَتَّى قُتِلُوا أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةِ أَمْيَالٍ . وَلَمَّا أَنْ تَجَاوَزَتْ
الْمَصَافُ بَنَصَفِ مِيلٍ خَفْتُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْكُفَّارِ مَكِيدَةٌ فِي الْإِحْتِيَالِ عَلَى
الرَّجَالَةِ وَالسَّوَادِ ، فَوَقَفْتُ إِلَى أَنْ لَحِقُونِي . وَجَمَعْتَهُمْ وَجَمَعْتُ النَّاسَ ،
إِلَى وَبَيْنَ يَدَيِ الْمَطْرَدِ الْمُبَارَكِ ، مَطْرَدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ حَمَلْتُ فِي
الْوَقْتِ الْأَوَّلِ ، وَحُمِلَ النَّاسُ : وَلَمْ يَزَلْ عَيْسَى النُّوشَرِيُّ ضَابِطًا لِلْسَّوَادِ

من مصافّ خلفهم مع فرسانه ورجّالته على ما رسمته له ، لم يزل من موضعه إلى أن رجع الناس جميعاً إلى من كلّ موضع ، وضربت مضربى فى الموضع الذى وقفت فيه ؛ حتى نزل الناس جميعاً ، ولم أزل واقفاً إلى أن صليت المغرب ، حتى استقرّ العسكر بأهله ، ووجهت فى الطلائع ثم نزلت ؛ وأكثرت حمد الله على ما هنأنا به من النصر ، ولم يبق أحد من قوّد أمير المؤمنين وغلّمانه ولا العجم وغيرهم غاية فى نصر هذه الدولة المباركة فى المناصحة لها إلّا بلغوها ؛ بارك الله عليهم جميعاً !

ولما استراح الناس خرجت والقوّد جميعاً لنقيم خارج العسكر إلى أن يصبح الناس خوفاً من حيلة تقع ، وأسأل الله تمام النعمة وإيزاع الشكر ؛ وأنا أعزّ الله سيدنا الوزير - راحل إلى حماة ، ثم أشخص إلى سليمة بمنّ الله تعالى وعونه ، فمن بقى من هؤلاء الكفار مع الكافر فهم بسلامية ؛ فإنه قد صار إليها منذ ثلاثة أيام ، وأحتاج إلى أن يتقدم الوزير بالكتاب إلى جميع القوّد وسائر بطون العرب من بنى شيبان وتغلب وبنى تميم ، يعجزهم جميعاً الخير على ما كان فى هذه الوقعة ؛ فما بقى أحد منهم - صغير ولا كبير - غاية ، والحمد لله على ما تفضّل به ، وإياه أسأل تمام النعمة .

ولما تقدّمت فى جمع الرؤوس ، وُجد رأس أبى الحمل ورأس أبى العذاب وأبى البغل . وقيل إن النعمان قد قُتل ؛ وقد تقدّمت فى طلبه ، وأخذ رأسه وحمله مع الرؤوس إلى حضرة أمير المؤمنين إن شاء الله .

وفى يوم لاثنين الأربع بقين من المحرم ، أدخل صاحب الشامة إلى الرقة ظاهراً للناس على فالج ، عليه برنس حرير ودرّاعية ديباج ، وبين يديه المدثر والمطوّق على جملين .

ثم إن المكتفى خلف عساكره مع محمد بن سليمان ، وشخص فى خاصّته وغلماناه وخدمه ، وشخص معه القاسم بن عبيد الله من الرقة إلى بغداد وحمل معه القرمطى والمدثر والمطوّق وجماعة من أسارى الواقعة ، وذلك فى أول صفر من هذه السنة .

فلما صار إلى بغداد عزم - فيما ذكر - على أن يدخل القرمطى مدينة السلام مصلوباً على دقل ، والدقل على ظهر فيل ؛ فأمر بهدم طاقات الأبواب التى يجتاز بها الفيل ، إن كانت أقصر من الدقل ؛ وذلك مثل باب الطاق وباب الرصافة وغيرهما .

ثم استسمح المكتفى - فيما ذكر - فعل ما كان عزم عليه من ذاك ، فعمل له دميانة - غلام يا زمان - كرسياً ، وركب الكرسى على ظهر الفيل ، وكان ارتفاعه عن ظهر الفيل ذراعين ونصف ذراع - فيما قيل - ودخل المكتفى مدينة السلام بغداد صبيحة يوم الاثنين ليلتين خلّتا من شهر ربيع الأول ، وقُدّم الأسرى بين يديه على جمال مقيدين ، عليهم دراريع حرير وبرانس حرير ، والمطوّق فى وسطهم ، غلام ما خرجت لحيته ، قد جعل فى فيه خشبة مخروطة ، وشُدّت إلى قفاه كهيئة اللجام ،

وذلك أنه لما أدخل الرقة كان يشتم الناس إذا دعوا عليه ، ويبزق عليهم ،
فَفَعَلَ ذلك به لثلا يشتم إنسانًا .

ثم أمر المكتفى ببناء دكة في المصلّى العتيق من الجانب الشرقى ،
تكسيها عشرون ذراعًا في عشرين ذراعًا ، وارتفاعها نحو من عشرة
أذرع ، وبنى لها درج يصعد منها إليها . وكان المكتفى خلف مع محمد
ابن سليمان عساكره بالرقة عند منصرفه إلى مدينة السلام ، فتلقط محمد
ابن سليمان مَنْ كان في تلك الناحية من قوَاد القرمطى وقضاته وأصحاب
شُرطه ، فأخذهم وقيدهم ، وانحدر والقوَاد الذين تخلفوا معه إلى مدينة
السلام على طريق الفرات ، فوافى باب الأنبار ليلة الخميس لاثنتى عشرة
خلت من شهر ربيع الأول ، ومعه جماعة من القوَاد ، منهم خاقان
المفلحى ومحمد بن إسحاق بن كنداجيق وغيرهما : فأمر القوَاد الذين
ببغداد بتلقئ محمد بن سليمان والدخول معه ، فدخل بغداد وبين يديه
نَيْف وسبعون أسيرًا ، حتى صار إلى الثريا ، فخلع عليه ، وطوّق بطوق
من ذهب وسُور بسوارين من ذهب ، وخلع على جميع القوَاد القادمين
معه ، وطوّقوا وسُوروا وصُرفوا إلى منازلهم ، وأمر بالأسرى إلى
السجن . .

وذكر عن صاحب الشامة أنه أخذ وهو في حبس المكتفى سكرجة
من المائدة التى تدخل إليه فكسرها ، وأخذ شظية منها فقطع بها بعض
عروق نفسه ، فخرج منه دم كثير ، ثم شدّ يده . فلما وقف المولى خدمته

على ذلك سألته : لمَ فعل ذلك ؟ فقال : هاج بى الدم فأخرجته . فترك حتى صلح ، ورجعت إليه قوته .

ولما كان يوم الاثنين لسبع بقين من شهر ربيع الأول أمر المكتفى القواد والغلمان بحضور الدكة التى أمر ببنائها ، وخرج من الناس خلق كثير لحضورها ، فحضرها ، وحضر أحمد بن محمد الواثقى وهو يومئذ يلى الشرطة بمدينة السلام ومحمد بن سليمان كاتب الجيش الدكة ، فقعدا عليها ، وحمل الأسرى الذين جاء بهم المكتفى معه من الرقة والذين جاء بهم محمد بن سليمان ومن كان فى السجن من القرامطة الذين جمعوا من الكوفة ، وقوم من أهل بغداد كانوا على رأى القرامطة ، وقوم من الرفوغ من سائر البلدان من غير القرامطة - وكانوا قليلا - فجىء بهم على جمال ، وأحضروا الدكة ، ووقفوا على جمالهم ، ووكل بكل رجل منهم عونان ، ف قيل : إنهم كانوا ثلثمائة ونيفاً وعشرين ، وقيل ثلثمائة وستين ، وجىء بالقرمطى الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ؛ ومعه ابن عمه المعروف بالمدثر على بغل فى عمارية ، وقد أسبل عليهما الغشاء ، ومعهما جماعة من الفرسان والرّجال ، فصعد بهما إلى الدكة وأقعدا ، وقدم أربعة وثلاثون إنسانا من هؤلاء الأسارى ، فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وضربت أعناقهم واحداً بعد واحد ، كان يؤخذ الرجل فيبطح على وجهه فيقطع يمين يديه ، ويحلق بها إلى أسفل ليراها الناس ، ثم تُقطع رجله اليسرى ، ثم يسرى يديه ، ثم يمينى رجله ؛ ويرمى بما قطع

منه إلى أسفل ، ثم يقعد فيمدّ رأسه ، فيضرب عنقه ، ويرمى برأسه وجثته إلى أسفل . وكانت جماعة من هؤلاء الأسرى قليلة يضجون ويستغيثون ، ويحلفون أنهم ليسوا من القرامطة .

فلما فرغ من قتل هؤلاء الأربعة والثلاثين النفس - وكانوا من وجوه أصحاب القرمطى - فيما ذكر - وكبرائهم قُدّم المدثر ، فسقطت يداه ورجلاه وضربت عنقه ، ثم قُدّم القرمطى فضرب مائتى سوط ، ثم قطعت يداه ورجلاه ، وكوى فغشى عليه ، ثم أخذ خشب فأضرمت فيه النار ، ووضع فى خواصره وبطنه ، فجعل يفتح عينيه ثم يغمضهما ؛ فلما خافوا أن يموت ضربت عنقه ، ورفع رأسه على خشبة ، وكبر من على الدكة وكبر سائر الناس . فلما قُتل انصرف القواد ومن كان حضر ذلك الموضع للنظر إلى ما يفعل بالقرمطى . وأقام الوثاقى فى جماعة من أصحابه فى ذلك الموضع إلى وقت العشاء الآخرة ، حتى ضرب أعناق باقى الأسرى الذين أحضروا الدكة ؛ ثم انصرف .

فلما كان من غد هذا اليوم حُملت رءوس القتلى من المصلّى إلى الجسر وصلب بَدَن القرمطى فى طرف الجسر الأعلى ببغداد ، وحفرت لأجساد القتلى فى يوم الأربعاء آبار إلى جانب الدكة ، وطُرحت فيها وطُمت ، ثم أمر بعد أيام بهدم الدكة ففعل .

ولأربع عشرة خلت من شهر ربيع الآخر وافى بغداد القاسم بن سيما

منصرفاً عن عمله بطريق الفرات ، ومعه رجل من بنى العليّص من أصحاب القرمطى صاحب الشامة ؛ دخل إليه بأمان ، وكان أحد دعاة القرمطى ، يكنى أبا محمد . وكان سبب دخوله فى الأمان أنّ السلطان راسلّه ، ووعده بالإحسان إن هو دخل فى الأمان ؛ وذلك أنّه لم يكن بقى من رؤساء القرامطة بنواحي الشّام غيره ، وكان من موالى بنى العليّص ، فرّ وقت الواقعة إلى بعض النواحي الغامضة ، فأقلت . ثم رغب فى الدّخول فى الأمان والطاعة خوفاً على نفسه ، فوافى هو ومنّ معه مدينة السلام ، وهم نيفٌ وستون رجلاً ، فأومنوا وأحسن إليهم ، ووُصِّلوا بمال حمل إليهم ، وأخرج هو ومنّ معه إلى رَحبَة مالك بن طَوق مع القاسم ابن سيمّا ، وأجريت لهم الأوراق ، فلما وصل القاسم بن سيمّا إلى عمله وهم معه ، أقاموا معه مدّة ، ثم أجمعوا على الغدر بالقاسم بن سيمّا ، وتلتمروا به ، ووقف على ذلك من عزمهم ، فبادرهم ووضع السيف فيهم فأبّارهم ، وأسِر جماعة منهم ، فارتدع منّ بقى من بنى العليّص ومواليهم ، وذلّوا ، ولزموا أرض السّماوة وناحيتها مدّة حتى راسلهم الخبيث ركرويه ، وأعلمهم أنّ مما أوحى إليه ، أن المعروف بالشيخ وأخاه يُقتلان ، وأن إمّامه الذى يوحى إليه يظهر بعدهما ويظفر .

*

سنة ٢٩٣ هـم الأحداث :

[ذكر الخبر عن ظهور أخى الحسين بن زكرويه]

وفى هذا الشهر من هذه السنة ورد الخبر أن أخاً للحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ظهر بالدّالية من طريق الفرات فى نفر ، وأنه اجتمع إليه نفر من الأعراب المتلصّصة ، فسار بهم نحو دمشق على طريق البرّ ، وعاث بتلك الناحية ، وحارب أهلها ، فنُذِب للخروج إليه الحسين ابن حمدان بن حمدون ، فخرج فى جماعة كثيرة من الجند ، وكان مصير هذا القرمطىّ إلى دمشق فى جمادى الأولى من هذه السنة . ثم ورد الخبر أنّ هذا القرمطىّ صار إلى طَبْرِية فامتنعوا من إدخاله ، فحاربهم حتى دخلها ، فقتل عامة مَنْ بها من الرّجال والنساء ، ونهبها ، وانصرف إلى ناحية البادية .

وفى شهر ربيع الآخر ورد الخبر بأنّ الداعية الذى بنواحي اليمن صار إلى مدينة صنعاء ، فحاربه أهلها ، فظفر بهم ، فقتل أهلها ، فلم ينفلت منهم إلا القليل ، وتغلّب على سائر مدن اليمن .

*

عاد الخبر إلى ما كان من امر أخى ابن زكرويه

فلذكر عن محمد بن داود بن الجراح أنه قال : أنفذ زكرويه بن مهرويه بعدما قتل ابنه صاحب الشامة رجلاً كان يعلم الصبيان بقرية

تدعى الزابوقة من عمل الفلوجة ، يسمّى عبد الله بن سعيد ، ويكنى أبا غانم ، فتسمّى نصرّاً ليعمى أمره ، فدار على أحياء كلب يدعوهم إلى رأيّه ، فلم يقبله منهم أحد سوى رجل من بنى زياد ، يسمّى مقدام بن الكيال ، فإنه استغوى له طوائف من الأصبغيين المنتمين إلى الفواطم وسواقط من العليّيين وصعاليك من سائر بطون كلب ، وقصد ناحية الشّام ، وعاملُ السّلطان على دمشق والأردنّ أحمد بن كيغَلْغ ، وهو مقيم بمصر على حرب ابن خَلِيج ، الذى كان خالف محمد بن سليمان ، ورجع إلى مصر ، فغلب عليها ، فاغتنم ذلك عبد الله بن سعيد هذا ، وسار إلى مدينتيّ بُصرى وأذرعات من كُورتيّ حُوران والبثينة ، فحارب أهلها ثم آمنهم . فلما استسلموا قتل مقاتلتهم ، وسبى ذراريهم ، واستصفى أموالهم ، ثم سار يؤمّ دمشق ، فخرج إليه جماعة ممن كان مرسوماً بتشحيّنها من المصريّين كان خلفهم أحمد بن كيغَلْغ مع صالح بن الفضل ، فظهروا عليهم ، وأثخنوا فيهم . ثم اغتروهم ببذل الأمان لهم ، فقتلوا صالحاً ، وفضّوا عسكره ، ولم يطمعوا فى مدينة دمشق ، وكانوا قد صاروا إليها ، فدافعهم أهلها عنها ، فقصدوا نحو طبريّة مدينة جند الأردن ، ولحق بهم جماعة افتتنت من الجند بدمشق ، فواقعهم يوسف ابن إبراهيم بن بغازدى عامل أحمد بن كيغَلْغ على الأردنّ ، فكسروه وبذلوا الأمان له ، ثم غدروا به ، فقتلوه ونهبوا مدينة الأردنّ ، وسبوا النساء ، وقتلوا طائفةً من أهلها ، فأنفذ السلطان الحسين بن حمدان لطلبهم ووجوهاً من القوّاد ، فورد دمشق وقد دخل أعداء الله طبريّة ، فلما اتّصل خبره بهم عطفوا نحو السماوة ، وتبعهم الحسين يطلبهم فى

بريّة السماوة ، وهم ينتقلون من ماء إلى ماء ، ويعورّونه حتى لجثوا إلى
الماءين المعروفين بالدّمْعانة والحالة ، وانقطع الحسين من اتباعهم لعدم
الماء ، فعاد إلى الرّحبه ، وأسرى القرامطة مع غاويهم المسمّى نصرّاً إلى
قرية هيت ، فصبّحوها وأهلها غارون لتسع بقين من شعبان مع طلوع
الشمس ، فنهب ربّضها ، وقتل مَنْ قدر عليه من أهلها ، وأحرق
المنارل ، وانتهب السفن التي في الفرات في غرضتها ، وقتل من أهل البلد
- فيما قيل - رهاء مائتي نفس ما بين رجل وامرأة وصبيّ ، وأخذ ما قدر
عليه من الأموال والمتاع ، وأوقر - فيما قيل - ثلاثة آلاف راحلة ، كانت
معه رهاء مائتي كر حنطة بالمعدّل ومن البرّ والعطر والسقط جميع ما
احتاج إليه ، وأقام بها بقية ايوم الذي دخلها والذي بعده ، ثم رحل عنها
بعد المغرب إلى البريّة . وإنما أصاب ذلك من ربّضها ، وتحصّن منه أهل
المدينة بسورها ، فشخص محمد بن إسحاق بن كُنداجيق إلى هيت في
جماعة من القوّاد في جيش كثيف بسبب هذا القرمطيّ ، ثم تبعه بعد أيام
مؤنس الخازن .

وذكر عن محمد بن داود ، أنه قال : إنّ القرامطة صبّحوا هيت
وأهلها غارون ، فحماهم الله منه بسورها ، ثم عجل السلطان محمد بن
إسحاق بن كُنداجيق نحوهم ، فلم يقيموا بها إلا ثلاثاً ، حتى قرب
محمد بن إسحاق منهم ، فهربوا منه نحو الماءين ، فنهض محمد
نحوهم ، فوجدهم قد عورّوا المياه بينه وبينهم ، فأنفذت إليه من الحضرة
الإبل والروايا والزاد . وكتب إلى الحسين بن حمدان بالنفوذ من جهة

الرَّحْبَة إِلَيْهِمْ لِيَجْتَمَعَ هُوَ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَلَى الْإِيقَاعِ بِهِمْ ، فَلَمَّا أَحَسَّ الْكَلْبِيُّونَ بِإِشْرَافِ الْجُنْدِ عَلَيْهِمْ ، ائْتَمَرُوا بِعَدْوِ اللَّهِ الْمُسَمَّى نَصْرًا ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ ، وَفَتَكُوا بِهِ ، وَتَفَرَّدَ بِقَتْلِهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ الذُّثْبُ ابْنُ الْقَائِمِ ، وَشَخَصَ إِلَى الْبَابِ مُتَقَرِّبًا بِمَا كَانَ مِنْهُ ، وَمُسْتَأْمِنًا لِبَقِيَّتِهِمْ ، فَأَسْنَيْتَ لَهُ الْجَائِزَةَ ، وَعُرِفَ لَهُ مَا أَتَاهُ ، وَكُفَّ عَنْ طَلَبِ قَوْمِهِ ، فَمَكَثَ أَيَّامًا ثُمَّ هَرَبَ ، وَظَفَرَتْ بِطَلَائِعِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بِرَأْسِ الْمُسَمَّى بِنَصْرِ ، فَاحْتَزَّوهُ وَأَدْخَلُوهُ مَدِينَةَ السَّلَامِ ، وَاقْتَتَلَتِ الْقَرَامِطَةُ بَعْدَهُ ، حَتَّى وَقَعَتْ بَيْنَهُمَا الدِّمَاءُ ، فَصَارَ مَقْدَامُ بْنُ الْكِيَالِ إِلَى نَاحِيَةِ طَبِئٍ مَفْلَتًا بِمَا احتوى عَلَيْهِ مِنَ الْخُطَامِ ، وَصَارَتْ فِرْقَةٌ مِنْهُمْ كَرِهَتْ أُمُورَهُمْ إِلَى بَنِي أَسَدِ الْمُقِيمِينَ بِنَوَاحِي عَيْنِ التَّمْرِ ، فَجَاوَرَوْهُمْ وَأَرْسَلُوا إِلَى السُّلْطَانِ وَفَدَا يَعْتَذِرُونَ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ ، وَيَسْأَلُونَ إِقْرَارَهُمْ فِي جَوَارِ بَنِي أَسَدَ ، فَأَجَبُوا إِلَى ذَلِكَ ، وَحَصَلَتْ عَلَى الْمَاءِ بَقِيَّةُ الْفَسَقَةِ الْمُسْتَبْصِرَةِ فِي دِينِ الْقَرَامِطِ .

وَكُتِبَ السُّلْطَانُ إِلَى حُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ فِي مُعَاوَدَتِهِمْ بِاجْتِثَاتِ أَصُولِهِمْ ، فَأَنْفَذَ زَكْرِيَّاهُ إِلَيْهِمْ دَاعِيَةً لَهُ مِنْ أَكْرَةِ أَهْلِ السَّوَادِ يُسَمَّى الْقَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ ، وَيَعْرِفُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ ، مِنْ رِسْتَاقِ نَهْرِ تَلْحَانَا ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ فِعْلَ الذُّثْبِ بْنِ الْقَائِمِ قَدْ أَنْقَرَهُ عَنْهُمْ ، وَثَقُلَ قَلْبُهُ عَلَيْهِمْ ؛ وَأَنَّهُمْ قَدْ ارْتَدَّوْا عَنِ الدِّينِ ، وَأَنَّ وَقْتَ ظُهُورِهِمْ قَدْ حَضَرَ . وَقَدْ بَايَعَ لَهُ بِالْكُوفَةِ أَرْبَعُونَ أَلْفَ رَجُلٍ ، وَفِي سَوَادِهَا أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفِ رَجُلٍ ، وَأَنَّ يَوْمَ مَوْعِدِهِمُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فِي شَأْنِ مُوسَى كَلِيمِهِ ﷺ ، وَعَدُوهُ فِرْعَوْنُ إِنْ يَقُولُ : ﴿ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسَ ضُحًى ﴾ . وَأَنَّ زَكْرِيَّاهُ يَأْمُرُهُمْ أَنْ يَخْفُوا أَمْرَهُمْ ، وَيُظْهِرُوا الْإِنْفِلَاقَ

نحو الشَّام ، ويسيروا نحو الكوفة حتى يصبُّحوها فى غداة يوم النحر ، وهو يوم الخميس لعشر تخلو من ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، فإنهم لا يُمنعون منها ، وأنه يظهر لهم ، وينجز لهم وعده الذى كانت رسله تأتيهم به ، وأن يحملوا القاسم بن أحمد معهم . فامستلوا أمره ، ووافوا باب الكوفة ، وقد انصرف الناس عن مصلاهم مع إسحاق بن عمران عامل السلطان بها ، وكان الذين وافوا باب الكوفة فى هذا اليوم - فيما ذكر - ثمانمائة فارس أو نحوها ، رأسهم الذبلى بن مهروبه من أهل الصوَر . وقيل إنه من أهل جُبْلَاء ، عليهم الدروع والجواشن والآلة الحسنة ، ومعهم جماعة من الرّجال على الرّواحل ، فأوقعوا بمنّ لحقوه من العوامّ ، وسلبوا جماعة ، وقتلوا نحواً من عشرين نفساً . وبادر الناس إلى الكوفة فدخلوها ، وتنادوا السلاح . فنهض إسحاق بن عمران فى أصحابه ، ودخل مدينة الكوفة من القرامطة زهاء مائة فارس من الباب المعروف بباب كندة ، فاجتمعت العوامّ وجماعة من أصحاب السلطان ، فرموهم بالحجارة وحاربوهم ، وألقوا عليهم السُّرّ ، فقتل منهم زهاء عشرين نفساً ، وأخرجوهم من المدينة ، وخرج إسحاق ابن عمران ومنّ معه من الجند ، فصافوا القرامطة الحرب . وأمر إسحاق ابن عمران أهل الكوفة بالتحارس لئلاّ يجد القرامطة غرّة منهم ، فيدخلوا المدينة ، فلم يزل الحرب بينهم إلى وقت العصر يوم النّحر ، ثم انهزمت القرامطة نحو القادسيّة ، وأصلح أهل الكوفة سورهم وخندقهم ، وقاموا مع أصحاب السلطان يحرسون مدينتهم ليلاً ونهاراً .

وكتب إسحاق بن عمران إلى السلطان يستمده ، فندب للخروج إليه جماعة من قوّاده ، منهم طاهر بن عليّ بن وزير ووصيف بن صوار تكين التركيّ والفضل بن موسى بن بغا ، وبشر الخادم الأفشينيّ وجنّي الصفّوانيّ ورائف الخزريّ. وضمّ إليه جماعة من غلمان الحُجَر وغيرهم . فشخص أولهم يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجة ، ولم يرأس واحد منهم ؛ كلُّ واحد منهم رئيس على أصحابه . وأمر القاسم بن سيما وغيره من رؤساء الأعراب بجمع الأعراب من البوادي بديار مُضَر وطريق الفرات ودقّوقاء وخانيجَار وغيرها من النواحي ، لينهضوا إلى هؤلاء القرامطة إذْ كان أصحاب السلطان متفرّقين في نواحي الشّام ومصر ، فمضت الرسائل بذلك إليهم ، فحضرُوا . ثم ورد الخبر فيها بأنّ الذين شخصوا مددًا لإسحاق بن عمران خرجوا إلى زكرويه في رجالهم ، وخلفوا إسحاق بن عمران بالكوفة مع مَنْ معه من رجاله ليضبطها ، وصاروا إلى موضع بينه وبين القادسيّة أربعة أميال ، يعرف بالصّور وهي في البريّة في العرض ، فلقّاهم زكرويه هنالك فصافّوه يوم الاثنين لتسع بقين من ذى الحجة .

وقد قيل كانت الواقعة يوم الأحد لعشر بقين منه ، وجعل أصحاب السلطان بينهم وبين سوادهم نحوًا من ميل ، ولم يخلّفوا أحدًا من المقاتلة عنده ، واشتدّت الحرب بينهم . وكانت الدّبرة أوّل هذا اليوم على القرمطيّ وأصحابه حتى كادوا أن يظفروا بهم ، وكان زكرويه قد كَمّن



بطاقة تقييم الكتب

«مكتبة الأسرة» ترحب بآرائك واقتراحاتك فيما يتعلق بالسلاسل التي تصدرها المكتبة ومدى قدرتها على تلبية رغبات القارئ لمتعته وفائدته.

الرجاء ملء البيانات التالية بعد قراءة الكتاب وإعطاء ورقة الاستبيان إلى البائع أو إرسالها إلى العنوان التالي:
مكتبة الأسرة، رئيس هيئة الكتاب - كورنيش النيل - رملة بولاق

١. عنوان الكتاب

المؤلف

مكان الشراء

معلومات عن المشتري :

إملا وضع علامة (✓) في الخانة التي تطابق الرد

☐ ذكر ☐ أنثى ☐ السن

• لماذا اخترت هذا الكتاب؟

☐ السعر ☐ اسم المؤلف ☐ مادة الكتاب

• التعليم:

☐ إعدادي ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐ ماجستير/ دكتوراه

• العمل:

☐ لا يعمل ☐ يعمل ☐ المهنة

• أى نوع من سلاسل مكتبة الأسرة يعجبك أكثر؟

☐ الأعمال الإبداعية ☐ الأعمال الفكرية

☐ الأعمال العلمية ☐ الأعمال الدينية

☐ كتب التراث ☐ روائع الأدب العربي

☐ روائع الأدب العالمى للناشئين

☐ أمهات الكتب المترجمة ☐ الشباب

• هل تقترح إضافة أعمال أخرى إلى الكتب وما هي؟

• كيف تقيم محتويات الكتاب بصفة عامة؟

☐ جيد جداً ☐ جيد ☐ ضعيف

• كم كتاباً تشتريها سنوياً من مكتبة الأسرة كل عام؟

• هل استمتعت بهذا الكتاب؟

☐ نعم ☐ لا

• إذا كانت الإجابة بنعم فماذا أعجبك في الكتاب؟

☐ المعلومات الجديدة

☐ القيم الفنية الرفيعة

☐ جمال الأسلوب وعمق التجربة الإنسانية

☐ القيم الإنسانية

• هل تعرف شيئاً عن الكاتب؟

☐ نعم ☐ لا

• هل تعتزم قراءة أعمال أخرى لنفس المؤلف؟

☐ نعم ☐ لا

• هل تقترح إضافة أعمال أخرى لنفس المؤلف؟

☐ نعم ☐ لا

• هل لديك ملاحظات على طباعة الكتاب من حيث:

الإخراج الفني ☐ ممتاز ☐ جيد ☐ ضعيف

الطباعة ☐ ممتاز ☐ جيد ☐ ضعيف

الغلاف ☐ ممتاز ☐ جيد ☐ ضعيف

• هل ترشيح هذا الكتاب لأحد غيرك؟

☐ نعم ☐ لا

☐ من الأقارب ☐ من الأصدقاء

• اكتب باختصار رأيك في مشروع مكتبة الأسرة...

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

عليهم كميئاً من خلفهم ، ولم يشعروا به . فلما انتصف النهار خرج الكمين على السواد فانتهبه ، ورأى أصحاب السلطان السيف من ورائهم ، فانهزموا أقبح هزيمة ، ووضع القرمطى وأصحابه السيف فى أصحاب السلطان ، فقتلوهم كيف شاءوا ، وصبر جماعة من غلمان الحجر من الخزر وغيرهم ، وهم زهاء مائة غلام ، وقاتلوا حتى قُتلوا جميعاً بعد نكاية شديدة نكّوها فى القرامطة ، واحتوت القرامطة على سواد أصحاب السلطان فحاروه ، ولم يُفلت من أصحاب السلطان إلا مَنْ كان فى دابته فضّل فنجاه به ، أو من أثخن بالجراح ، فطرح نفسه فى القتلى ، فتحامل بعد انقضاء الوقعة حتى دخل الكوفة . وأخذ للسلطان فى هذا السواد ، مما كان وجهه به مع رجاله من الجمّازات ، عليها والآلة زهاء ثلثمائة جمّازة ، ومن البغال خمسمائة بغل .

وذكر أن مبلغ مَنْ قُتل من أصحاب السلطان فى هذه الوقعة سوى غلمانهم والحمّالين وَمَنْ كان فى السواد ألف وخمسمائة رجل ، فقوى القرمطى وأصحابه بما أخذوا فى هذه الوقعة ، وتطرف بيادر كانت إلى جانبه ، فأخذ منها طعاماً وشعيراً ، وحمله على بغال السلطان إلى عسكره ، وارتحل من موضع الوقعة نحواً من خمسة أميال فى العرض إلى موضع يقرب من الموضع المعروف بنهر المثنيّة ، وذلك أن روائح القتلى أذتهم .

وذكر عن محمد بن داود بن الجراح أنه قال : وافى باب الكوفة

الأعرابُ الذين كان زكرويه راسلهم ، وقد انصرف المسلمون عن مصلاهم مع إسحاق بن عمران ، ففترقوا من جهتين ، ودخلوا أبيات الكوفة ، وقد ضربوا على القاسم بن أحمد داعية زكرويه قُبَّة ، وقالوا : هذا ابن رسول الله ﷺ ، ودعوا : يال ثارات الحسين ! يعنون الحسين بن زكرويه المصلوب بباب جسر مدينة السلام ، وشعارهم : يا أحمد يا محمد - يعنون ابني زكرويه المقتولين . وأظهروا الأعلام البيض ، وقد رُوا أن يستغفروا رعاع الكوفيّين بذلك القول ، فأسرع إسحاق بن عمران ومن معه المبادرة نحوهم ، وودفعهم وقتل من ثبت له منهم ، وحضر جماعة من آل أبي طالب ، فحاربوا مع إسحاق بن عمران ، وحضر جماعة من العامة ؛ فحاربوا . فانصرف القرامطة خاسئين ، وصاروا إلى قرية تدعى العُشيرة من آخر عمل طسوج الساحل ونهر يوسف مما يلي البر من يومهم ، وانفذوا إلى عدو الله زكرويه بن مهرويه من استخرجه من نكير في الأرض ، كان متطمرًا فيه سنين كثيرة بقرية الدرية وأهل قرية الصّوَر يُتلفونه على أيديهم ، ويسمونه وليّ الله ، فسجدوا له لما رأوه ، وحضر معه جماعة من دعائه وخاصته ، وأعلمهم أن القاسم بن أحمد أعظم الناس عليهم منّة ، وأنه ردهم إلى الدين بعد خروجهم منه ، وأنهم إذا امتثلوا أمره ألجز مواعيدهم ، وبلغهم آمالهم . ورمز لهم رموزاً ؛ وذكر فيها آيات من القرآن ، نقلها عن الوجه الذي أنزلت فيه ، واعتبرف لزكرويه جميع من رسخ حب الكفر في قلبه ؛ من عربى ومولى ونبطى وغيرهم أنه رئيسهم المقدّم ، وكهفهم وملاذهم ، وأيقنوا بالنصر وبلوغ

الأمل . وسار بهم وهو محجوب عنهم يدعونه السيّد ، ولا يبررونه لمن فى عسكريهم ، والقاسم يتولّى الأمور دونه ، ويُمضيها على رأيه إلى مؤاخريسيّ الفرات من عمل الكوفة ، وأعلمهم أنّ أهل السواد قاطبة خارجون إليه ، فأقام هنالك نيفًا وعشرين يومًا ؛ يبتّ رسله فى السواديين مستلحقين ، فلم يلحق بهم من السواديين إلا من لحقته الشقوة ، وهم زهاء خمسمائة رجل بنسائهم وأولادهم ، وسرّب إليه السلطان الجنود ، وكتب إلى كلّ مَنْ كان نفذ نحو الأنبار وهيت لضبطها خوفًا من معاودة المقيمين ، كانوا بالماءين إليها بالانصراف نحو الكوفة ، فعجّل إليهم جماعة من القوّاد منهم ، بشر الأفشينىّ وجنى الصفوانىّ ونحرير العمرىّ ، ورائق فتى أمير المؤمنين والغلمان الصّغار المعروفين بالحجرية ، فأوقعوا بأعداء الله بقرب قرية الصوور ، فقتلوا رجالتهم وجماعة من فرسانهم ، وأسلموا بيوتهم فى أيديهم ، فدخلوها ، وتشاغلوا بها ، فعطفت القرامطة عليهم فهزموهم .

وذكر عن بعض مَنْ ذكر أنه حضر مجلس محمد بن داود بن الجراح ، وقد أدخل إليه قوم من القرامطة ، منهم سلفُ زكرويه ، فكان مما حدثه أن قال : كان زكرويه مختفيًا فى منزلى فى سرداب فى دارى عليه باب حديد ، وكان لنا تنور ننقله ، فإذا جاءنا الطلب وضعنا التنور على باب السرداب ، وقامت امرأة تسجّره ؛ فمكث كذلك أربع سنين ، وذلك فى أيام المعتضد . وكان يقول : لا أخرج والمعتضد فى الأحياء .

ثم انتقل من منزلى إلى دار قد جعل فيها بيت وراء باب الدار ، إذا فُتح باب الدار انطبق على باب البيت ، فيدخل الداخل فلا يرى باب البيت الذى هو فيه ، فلم يزل هذه حالة حتى مات المعتضد ، فحينئذ أنفذ الدعاة ، وعمل فى الخروج .

ولما ورد خبر الواقعة التى كانت بين القرمطى وأصحاب السلطان بالصوهر على السلطان والناس ، أعظموه ، ونُذِب للخروج إلى الكوفة مَنْ ذُكِر من القواد ، وجُعِلَت الرئاسة لمحمد بن إسحاق بن كُندَاج ، وضم إليه جماعة من أعراب بنى شيبان والنمر رهاء ألفى رجل ، وأعطوا الأرزاق .

*

سنة ٢٩٤ هـ الأحداث :

[خبر زكرويه بن مهرويه القرمطى]

ولاثنتى عشرة خلت من المحرم ورد الخبر مدينة السلام أن زكرويه بن مهرويه البقرمطى ارتحل من الموضع المعروف بنهر المثنية ، يريد الحاج ، وأنه وافى موضعاً بينه وبين واقصة أربعة أميال .

وذكر عن محمد بن داود أنهم مَضَوْا فى البر من جهة المشرق ، حتى صاروا بالماء المسمى سَلْمان ، وصار ما بينهم وبين السواد مفارة ، فأقام بموضعه يريد الحاج ينتظر القافلة الأولى ، ووافت القافلة واقصة

لستُ - أو سبع - خلون من المحرم ، فأُنذرهم أهلُ المنزل ، وأخبروهم أن بينهم وبينهم أربعة أميال . فارتحلوا ولم يقيموا ، فنَجُوا . وكان في هذه القافلة الحسن بن موسى الرّبعيّ وسَيْما الإبراهيميّ ، فلما أَمَعَت القافلة في السّير صار القرمطيّ إلى واقصة ، فسألهم عن القافلة فأخبروه أنها لم تُقَم بواقصة ، فاتّهمهم بإنذارهم إياهم ، فقتل من العلافين بها جماعة ، وأحرق العلف ، وتحصّن أهلها في حصنهم ، فأقام بها أيامًا ، ثم ارتحل عنها نحو ربالة .

وذكر عن محمد بن داود أنه قال : إن العساكر سارت في طلب زكرويه نحو عيون الطفّ ، ثم انصرفت عنه لما علمت بمكانه بسلّمان ، ونفذ علّان بن كُشمرد مع قطعة من فرسان الجيش متجرّدة على طريق جادّة مكة نحو زكرويه ، حتى نزلوا السّبال ، فمضى نحو واقصة حتى نزلها بعد أن جارت القافلة الأولى ، ومرّ زكرويه في طريقه بطوائف من بنى أسد ، فأخذها من بيوتها معه ، وقصد الحاجّ المنصرفين عن مكة ، وقصد الجادّة نحوهم ، ووافى خبر الطير من الخوفة لأربع عشر بقيت من المحرم من هذه السنة بأن زكرويه اعترض قافلة الخراسانيّة يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من المحرم بالعقبة من طريق مكة ، فحاربوه حربًا شديدًا ، فساء لهم : وقال : أفيكم السلطان ؟ قالوا : ليس معنا سلطان ، ونحن الحاجّ ، فقال لهم : فامضوا فلست أريدكم . فلما سارت القافلة تبعها فأوقع بها ، وجعل أصحابه ينخسون الجمال بالرّماح ، ويبعجونها

بالسيوف ، فنفرت ، واختلطت القافلة ، وأكب أصحاب الخبيث على الحاج يقتلونهم كيف شاءوا ، فقتلوا الرجال ، والنساء ، وسبوا من النساء من أرادوا ، واحتسوا على ما كان فى القافلة ، وقد كان لقي بعض من أفلت من هذه القافلة علان بن كشمرد ، فسأله عن الخبر ، فأعلمه ما نزل بالقافلة الخراسانية ، وقال له : ما بينك وبين القوم إلا قليل ، والليلة أوفى غد توافى القافلة الثانية ، فإن رأوا علما للسلطان قويت أنفسهم . والله الله فيهم ا فرجع علان من ساعته ، وأمر من معه بالرجوع ، وقال : لا أعرض أصحاب السلطان للقتل ، ثم أصعد زكرويه ، ووافته القافلة الثانية .

وقد كان السلطان كتب إلى رؤساء القافلتين الثانية والثالثة ومن كان فيهما من القواد والكتّاب مع جماعة من الرّسل الذين تنكّبوا طريق الجادة بخبر الفاسق وفعله بالحاج ، ويأمرهم بالتحرز منه ، والعدول عن الجادة نحو واسط والبصرة ، أو الرجوع إلى قيد أو إلى المدينة ، إلى أن يلحق بهم الجيوش . ووصلت الكتب إليهم فلم يسمعوا ولم يقيموا ، ولم يلبثوا . وتقدّم أهل القافلة الثانية وفيها المبارك القمّي وأحمد بن نصر العُقيليّ وأحمد بن علىّ بن الحسين الهمدانيّ ، فوافوا الفجرة ، وقد رحلوا عن واقصة ، وعوروا مياهاها ، وملثوا بركها وبثارها بجيف الإبل والدوابّ التي كانت معهم ، مشقّة بطونها ، ووردوا منزل العقبة فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة خلت من المحرم ، فحاربهم أصحاب القافلة الثانية . وكان

أبو العشائر مع أصحابه في أول القافلة ومبارك القمّيّ فيمن معه في ساقتها، فجرت بينهم حربٌ شديدة حتى كشفوهم ، وأشرفوا على الظفر بهم ، فوجد الفجرة من ساقّتهم غرّة ، فركبوهم من جهتها ، ووضعوا رماحهم في جنوب إبلهم وبطونها ، فطحتهم الإبل وتمكنوا منهم ، فوضعوا السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم ، إلا من استعبدوه ، ثم أنفذوا إلى ما دون العقبة بأميال فوارس لحقوا المفلّته من السيف ، فأعطوهم الأمان ، فرجعوا فقتلوهم أجمعين ، وسبّوا من النساء ما أحبّوا ، واكتسحوا الأموال والأمتعة . وقتل المبارك القمّيّ والمظفر ابنه ، وأسر أبو العشائر ، وجُمع القتلى ، فُوضع بعضهم على بعض ، حتى صاروا كالتلّ العظيم . ثم قطعت يدا أبي العشائر ورجلاه ، وضربت عنقه ، وأطلق من النساء من لم يرغبوا فيه ، وأفلت من الجرحى قومٌ وقعوا بين القتلى ، فتحاملوا في الليل ومضوا ؛ فمنهم من مات ، ومنهم من نجا وهم قليل . وكان نساءُ القرامطة يَطْفَن مع صبيانهم في القتلى يعرضون عليهم الماء ، فمن كلمهم أجازوا عليه .

وقيل إنه كان في القافلة من الحاجّ زهاء عشرين ألف رجل ، قُتل جميعهم غير نفر يسير ممّن قوى على العدو ، فنجا بغير راد ومن وقع في القتل وهو مجروح ، وأفلت بعدد ، أو من استعبدوه لخدمتهم .

وذكر أن الذي أخذوا من المال والأمتعة الفاخرة في هذه القافلة قيمة ألفي ألف دينار .

وذكر عن بعض الضرّابين أنه قال : وردت علينا كتب الضرّابين بمصر أنكم فى هذه السنة تستغنون ، قد وجّه آل ابن طولون والقوادر المصريون الذين أشخصوا إلى مدينة السلام ، ومن كان فى مثل حالهم فى حمل ما لهم بمصر إلى مدينة السلام ، وقد سبكوا آنية الذهب والفضة والحلى نقاراً ، وحمل إلى مكة ليوافوا به مدينة السلام مع الحاج ، فحمل فى القوافل الشاخصة إلى مدينة السلام ، فذهب ذلك كله .

وذكر أن القرامطة بينا هم يقتلون وينهبون هذه القافلة يوم الاثنين ، إذ أقبلت قافلة الخراسانية ، فخرج إليهم جماعة من القرامطة ، فواقعوهم ، فكان سبيلهم سبيل هذه . فلما فرغ ركرويه من أهل القافلة الثانية من الحاج . وأخذ أموالهم ، واستباح حريمهم ، رحل من وقته من العقبة بعد أن ملأ البرك والآبار بها بالجيف من الناس والدواب . وكان ورد خبر قطعه على القافلة الثانية من قوافل السلطان مدينة السلام فى عشية يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من المحرم ، فعظم ذلك على الناس جميعاً وعلى السلطان ، وندب الوزير العباس بن الحسن بن أيوب محمد ابن داود بن الجراح الكاتب المتولّى دواوين الخراج والضيايع بالمشرق وديوان الجيش للخروج إلى الكوفة ، والمقام بها لإنفاذ الجيوش إلى القرمطى . فخرج من بغداد لإحدى عشرة بقيت من المحرم ، وحمل معه أموالاً كثيرة لإعطاء الجند .

ثم سار ركرويه إلى ربالة فنزلها ، وبثّ الطلائع أمامه ووراءه خوفاً

من أصحاب السلطان المقيمين بالقادسية أن يلحقوه ، ومتوقعاً ورود القافلة الثالثة التى فيها الأموال والتجار . ثم سار إلى الثعلبية ، ثم إلى الشقوق ، وأقام بها بين الشقوق والبطن فى طرف الرمل فى موضع يعرف بالطليح ، ينتظر القافلة الثالثة ، وفيها من القواد نفيس المولدى وصالح الأسود ، ومعه الشمسة والخزانة . وكانت الشمسة جعل فيها المعتضد جوهرًا نفيسًا .

وفى هذه القافلة ، كان إبراهيم ابن أبى الأشعث - وإليه كان قضاء مكة والمدينة وأمر طريق مكة والنفقة فيه لمصالحه - وميمون بن إبراهيم الكاتب - وكان إليه أمر ديوان رمام الخراج والضيايع - وأحمد بن محمد ابن أحمد المعروف بابن الهزّاج والفرات بن أحمد بن محمد بن الفرات ، والحسن بن إسماعيل قرابة العباس بن الحسن - وكان يتولى بريد الحرمين - وعلى بن العباس النهيكى . فلما صار أهل هذه القافلة إلى قيد بلغهم خبر الخبيث زكرويه وأصحابه ، وأقاموا بفيد أيامًا ينتظرون تقوية لهم من قبل السلطان .

وقد كان ابن كشمرد رجع من الطريق إلى القادسية فى الجيوش التى أنفذها السلطان معه وقبله وبعد .

ثم سار زكرويه إلى قيد ، وبها عامل السلطان ، يقال له حامد بن فيروز ، فالتجأ منه حامد إلى أحد حصنها فى نحو من مائة رجل كانوا معه فى المسجد ، وشحن الحصن الآخر بالرجال ، فجعل زكرويه يرأسل

أهل فيد ، ويسألهم أن يُسلموا إليه عاملهم ومَنْ فيها من الجند ، وأنهم إن فعلوا ذلك آمنهم ، فلم يجيبوه إلى ما سأل . ولما لم يجيبوه حاربهم ، فلم يظفر منهم بشيء . قال : فلما رأى أنه لا طاقة له بأهلها ، تنحى فصار إلى النّجاج ، ثم إلى حُفَيْر أبى موسى الأشعرى .

وفى أول شهر ربيع الأول أنهض المكتفى وصيف بن صوارتكين - ومعه من القوَّاد جماعة - فنفذوا من القادسية على طريق خَفَّان ، فلقىّه وصيف يوم السبت لثمان بقين من شهر ربيع الأول ، فاقتتلوا يومهم ، ثم حجز بينهم الليل ، فباتوا يتحارسون ، ثم عاودهم الحرب ، فقتل جيش السلطان منهم مقتلة عظيمة ، وخلصوا إلى عدوّ الله زكرويه ، فضربه بعض الجند بالسيف على قفاه وهو مولٌ ضربةً اتصلت بدماعه . فأخذ أسيراً وخليفته وجماعة من خاصّته وأقربائه ، فيهم ابنه وكتابه وزوجته ، واحتوى الجند على ما فى عسكريه . وعاش زكرويه خمسة أيام ثم مات ، فشُقَّ بطنه ، ثم حُمِلَ بهيئته ، وانصرف بمن كان بقى حيّاً فى يديه من أسرى الحاج .

*

سنة ٢٩٥:

فى ذى القعدة لاثنتى عشرة ليلة خلت منها تُوفّيَ المكتفى بالله ، وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً ، وكان يوم

تُوُفِّيَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً يَوْمَئِذٍ ، وَكَانَ وُلِدَ سَنَةً أَرْبَعَ وَسَتِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَيَكْنَى أَبَا مُحَمَّدٍ ، وَأُمُّهُ أُمٌ وَلَدَ تَرْكِيَّةً تَسْمَى جِيْجَك . وَكَانَ رَبْعَةً جَمِيلًا ، رَقِيقَ اللَّوْنِ ، حَسَنَ الشَّعْرِ ، وَافِرَ الحُمَةِ ، وَافِرَ اللَّحْيَةِ .

خلافة المقتدر :

ثم بُويع جعفر بن المعتضد بالله ؛ ولما بُويع جعفر بن المعتضد لقَّبَ المقتدر بالله وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وشهر واحد وأحد وعشرين يومًا . وَكَانَ مَوْلَاهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لَثْمَانِ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكُنِيَّتُهُ أَبُو الْفَضْلِ ، وَأُمُّهُ أُمٌّ وَلَدَ يُقَالُ لَهَا شَغْبٌ ، فَذُكِرَ كَانَ فِي بَيْتِ الْمَالِ يَوْمَ بُويع خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ . وَلَمَّا بُويعَ الْمُقْتَدِرُ غَسَّلَ الْمُكْتَفَى وَصَلَّى عَلَيْهِ ، وَدُفِنَ فِي مَوْضِعٍ مِنْ دَارِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ .

*

وفيهما كانت بين عَجَّ بن حاج والجند وقعة في اليوم الثاني من أيام منى ، قُتِلَ فِيهَا جَمَاعَةٌ ، وَجَرَحَ مِنْهُمْ ، بِسَبَبِ طَلِبِهِمْ جَائِزَةَ بَيْعَةِ الْمُقْتَدِرِ ، وَهَرَبَ النَّاسُ الَّذِينَ كَانُوا بِمَنْىَ إِلَى بَسْتَانَ ابْنَ عَامِرٍ ، وَانْتَهَبَ الْجَنْدُ مَضْرِبَ أَبِي عَدْنَانَ رُبَيْعَةَ بْنَ مُحَمَّدٍ بِمَنْىَ . وَكَانَ أَحَدُ أَمْرَاءِ الْقَوَافِلِ ، وَأَصَابَ الْمُنْصَرِفِينَ مِنْ مَكَّةَ فِي مَنْصَرَفِهِمْ فِي الطَّرِيقِ مِنَ الْقَطْعِ وَالْعَطَشِ

أمر غليظ ، مات من العطش - فيما قيل - منهم جماعة . وسمعت بعض من يحكى أن الرجل كان يبول فى كفه ، ثم يشربه .

سنة ٢٩٦ أهم الأحداث :

فمن ذلك ما كان من اجتماع جماعة من القواد والكتاب والقضاة على خلع المقتدر ، وتناظرهم فيمن يُجعل فى موضعه ، فاجتمع رأيهم على عبدالله بن المعتزّ وناظروه فى ذلك ، فأجابهم إلى ذلك على ألا يكون فى سفك ذلك دم ولا حرب ، فأخبروه أنّ الأمر يسلم إليه عفواً ، وأن جميع مَنْ وراءهم من الجند والقواد والكتاب قد رضوا به . فبايعهم على ذلك ، وكان الرأس فى ذلك محمد بن داود بن الجراح وأبو المثنى أحمد ابن يعقوب القاضى ، وواطأ محمد بن الجراح جماعة من القواد على الفتك بالمقتدر والبيعة لعبد الله بن المعتزّ ، وكان العباس بن الحسن على مثل رأيهم . فلما رأى العباس أمره مستوثقاً له مع المقتدر ، بدا له فيما كان عزم عليه من ذلك ، فحينئذ وثب به الآخرون فقتلوه ، وكان الذى تولى قتله بدرّ الأعجمى والحسين بن حمدان ووصيف بن صوارتكين ، وذلك يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول .

ولما كان من غدٍ هذا اليوم - وذلك يوم الأحد - خلع المقتدر القواد والكتاب وقضاة بغداد ، وبايعوا عبد الله بن المعتزّ ، ولقبوه الراضى

بالله . وكان الذى أخذ له البيعة على القوآد وتولّى استحلافهم والدعاء بأسمائهم محمد بن سعيد الأزرق كاتب الجيش .

وفى هذا اليوم كانت بين الحسين بن حمدان وبين غلمان الدار حرب شديدة من غدوه إلى انتصاف النهار .

وفيه انفضت الجموع التى كان محمد بن داود جمعها لبيعة ابن المعتز عنه ؛ وذلك أن الخادم الذى يدعى مؤنسًا حمل غلمانًا من غلمان الدار فى شدّوات فصاعد بها وهم فيها فى دجلة ، فلما حاذوا الدار التى فيها ابن المعتزّ ومحمد بن داود صاحوا بهم ، ورشقوهم بالنشاب ، ففرّقوا ، وهربَ مَنْ فى الدار من الجند والقوآد والكتاب ، وهرب ابن المعتزّ ، ولحق بعض الذين بايعوا ابن المعتزّ بالمقتدر ، فاعتذروا بأنه منع من المصير إليه ، واختفى بعضهم فأخذوا وقتلوا وانتهب العامة دور ابن داود والعباس بن الحسن ؛ وأخذ ابن المعتزّ فيمن أخذ .

وفى يوم السبت لأربع بقين من شهر ربيع الأول منها سقط الثلج ببغداد من غدوة إلى قدر صلاة العصر ، حتى صار فى الدور والسطوح منه نحو من أربعة أصابع ، وذكر أنه لم ير ببغداد مثل ذلك قطّ .

سنة ٣٠٠ هـ أهم الأحداث :

فمن ذلك ما كان من ورود بغداد رسول من العامل على برقة ، وهى من عمل مصر ، إلى ما خلفها بأربع فراسخ ، ثم ما بعد ذلك من عمل

المغرب بخير خارجيّ خرج عليه ، وأنه ظفر بعسكره ، وقتل خلقًا من أصحابه ، ومعه آذان وأنوف من قتلته في خيوط وأعلام من أعلام الخارجيّ .

وفي هذه السنة كثرت الأمراض والعلل ببغداد في الناس ، وذكر أنّ الكلاب والذئاب كلبت فيها بالبادية ، فكانت تطلب الناس والدوابّ والبهائم ، فإذا عضّت إنسانًا أهلكته .

سنة ٣١٩ :

لعشر بقين من شعبان ورد الخبر بأن القرامطة صاروا إلى الكوفة ونزلوا المصلّى العتيق ، وعسكروا به ، وأقاموا ، وسارت قطعة منهم في مائتي فارس فدخلوا الكوفة ، وأقاموا بها خمسة وعشرين يومًا مطمئنين ، يقضون حوائجهم ، وقتلوا بها خلقًا كثيرًا من بني نير خاصة ، واستبقوا بني أسد ، ونهبوا أهراء^(١) فيها غلات كثيرة للسلطان وغيره .

وفي هذه السنة وصل زكري الخراساني إلى عسكر سليمان بن أبي سعيد الجنّابي فجازله عليهم من الحيلة والمخرقة^(٢) ما افتضحوا به وعبدوه ، ودانوا له بكلّ ما أمرهم ، به من تحليل المحارم وسفك الرجل دم أخيه وولده وذوى قرابته وغيرهم ، وكان السبب في وصوله إليهم أن القرامطة لما انتشروا في سواد الكوفة ، وانتهوا إلى قصر ابن هبيرة فأسروا جماعة

(١) الأهراء : المخازن .

(٢) المخرقة : الخرافات .

من الناس كانوا يستعبدون مَنْ يأسرونه ويستخدمونهم ، وكان له عرفاء ، على كلّ طائفة منهم ، فأُسر زكري هذا فيمن أسر ، وملكه بعض المترأسين عليهم ، فما أراد الاستخدام به تمنّع عليه وأسمعه ما كره . فلما نظر إلى قوة كلامه وجراته هابه وأمسك عنه ، وأنهى خبره إلى الجنبى سليمان فأحضره من وقته وخلابه ، وسمع كلامه ففتنه ، ودان له . وأمر أصحابه بأن يدينوا له ويتبعوا أمره وحمله فى قبة وستره عن الناس ، وشغل خبره القرامطة وانصرفوا به راجعين إلى بلادهم ، وهم يعتقدون أنه يعلم الغيب ويطلع على ما فى صدورهم وضمائرهم ، وهو كان بعد ذلك السبب لهلاكهم وفنائهم ، على ما يأتى ذكره فى الوقت الذى دار فيه ذلك .

وفى شعبان من هذا العام شَغِبَ الرِّجَالُ ببغداد ، فحاربهم يلبق وسائر الجيش ولم تزل الحرب بينهم من غدوة إلى صلاة العصر ، وخرج من الفرسان جماعة ، وقتل من الرِّجَالِ عدد كثير ، ثم تمزّق الفريقان فى الأركة والدروب وانصرفوا .

ذكر صرف الكلواذى عن الوزارة وتقليدها الحسين بن القاسم :

وكان عبيد الله بن محمد الكلواذى أحد الكتاب الكبار ، وجليلاً فى نفوس الناس ، فقدروا أن فيه كفاية وقياماً بالأمر ، فأقام على الوزارة شهرين وهو متبرّم بها لضيق الأموال وكثرة الاعتراضات واتّصال

الشغب وقعود العمال عن حمل المال . فاستعفى وقال : ما أصلح أن أكون وزيراً ، فصُرِفَ عنها ولم يعنّف ولا نُكِبَ ولا تعرّض أحد من حاشيته ، وانصرف إلى داره ، واستقرّ فيها فأمر الخليفة بحفظها وصيانتها .

وكان أبو الجمال الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب يسعى دهره في طلب الوزارة ، ويتقرّب إلى مؤنس وحاشيته ويصانعهم حتى جار عندهم ، وملاً عيونهم ، وكان يتقرّب إلى النصارى الكتاب بأن يقول لهم : إنّ أهلى منكم وأجدادى من كباركم ، وإن صليبا سقط من يد عبيد الله بن سليمان جدّه في أيام المعتضد . فلما رآه الناس ، قال : هذا شيء تتبرك به عجائزنا ، فتجعله في ثيابنا من حيث لا نعلم ، تقرّباً إليهم بهذا وشبهه ، يعنى إلى مؤنس وأصحابه .

وقلّد الوزارة يوم السبت سلخ شهر رمضان وخلع عليه في هذا اليوم ، وركب في خلعه وسائر القواد والناس على طبقاتهم معه وأخذه بوله في الطريق ، فنزل وهو في خلع الخليفة إلى دار محمد بن فتح السعدى فبال عنده ، وأمر له بزيادة في رزقه ونزله ، وركب منها إلى داره .

ذكر عزل الوزير الحسن بن القاسم وتقديم الفضل بن جعفر مكانه والتياث الأحوال ببغداد:

ولما ظن الوزير أبو الجمال الحسين بن القاسم أنَّ الأمر قد صفا له
بمخرج مؤنس من بغداد ، وأنَّ قد تمَّ له ما أراد ، وقع فيما تكره ،
فكثر عليه الشغب ، واشتدت مطالبة الجند له بالأموال ، وخيب الله ظنه
فيما أراد ، ولازمه الحشم في دار الخليفة ملازمةً قبيحة ، وأهانوه وأهانوا
الخليفة بسببه ، فثقل على قلب المقتدر ، ولم يزل يقاسى منه كل صعب
وذلكول ، فأمر بالقبض عليه في عَقَب ربيع الآخر ، وولى الفضل بن
جعفر ابن الفرات مكانه ، وقد كان مشهوراً عند الخاص والعام بالفضل
والعلم والكتابة وترك الهزل واللهو ، وكان هو وأبو الخطاب من خيار آل
الفرات . فلما صارت إليه الوزارة أظهر الحبَّ له والرغبة فيها ، فعجب
الناس من ذلك .

سنة ٣١٢ هـ:

ورد الخبرُ بأنَّ أبا طاهر بن أبي سعيد الجنابيَّ ، ورد الهَبِير^(١) لتلقَّى
حاج سنة إحدى عشرة وثلثمائة في رجوعهم ، فأوقع بقافلة بغدادية ،

(١) الهبير : رمل في طريق مكة ، ذكره ياقوت وقال : « كانت عنده وقعة ابن أبي سعد
الجنابي بالحاج سنة ٣١٢ ، قتلهم وسباهم وأخذ أموالهم » .

وأقسام بقية القوافل بعيداً ، فلماً فَنِيَتْ أَرْوَادُهُمْ ، ارتحلوا ، فأشار أبو الهيثجاء بن حمدان^(١) ، وإليه [طريق] الكوفة وطريق مكة ، أن يعدل بهم إلى وادي القرى ، فامتنعوا وساروا ، فسار معهم مخاطراً حتى بلغ الهبير ، فلقيهم أبو طاهر ، فقتل منهم خَلْقًا ، وأسر أبا الهيثجاء وأحمد ابن بدر عم السيدة أم المقتدر ، وجماعة من خَدَمَ السلطان وحرَمه .

وسار أبو طاهر إلى هَجَرَ ، وسنُّهُ إذ ذاك سبع عشرة سنة ، ومات من استأسره بالجفاء والعطش . فنال أهل بغداد منالاً عظيماً ، وخرج النساء منشرات الشعور مسودّات الوجوه في الجانبين ، فانضاف إليهنّ من حرَم الذين نكبهنّ ابنُ الفرات ، فانبسط لسان نصر عليه ، وأشار على المقتدر بمكاتبة مؤنس .

ورجعت العامة طيَّار ابن الفرات ، وامتنعوا من الصلّوات في الجماعات .

وأنفذ المقتدر بياقوت وابنيه محمد والمظفر إلى الكوفة ، ورجعوا حين علموا انصرافَ القرمطيّ إلى بلّده .

وجمع المقتدر بالله ابن الفرات ونصر وأمرهما بالتظافر .

(١) هو عبد الله بن حمدان التغلبي ولأه المكتفى بالله الموصل ثم عزله المقتدر سنة ٣٠١ . ثم عاد فقلده طريق خراسان والدينور ، فكان يتولّى ذلك وهو في بغداد ثم قتله رجال المقتدر سنة ٣١٧ . ابن الأثير حوادث سنة ٣١٧ .

وقدم مؤنس إلى بغداد ، فركب إليه ابنُ الفرات ، ولم تَجِرْ له عادةً بذلك ، فخرج مؤنس إلى باد داره ، وسأله أن ينصرف ، فلم يفعل ، وصعد إليه من طيَّاره حتى هنَّاه بمقدمه ، وخرج معه مؤنس حتى نزل الطَّيار .

وكاتب المقتدرُ ابنَ أبي السَّاج لحرب القَرْمَطِيِّ ، لما عرف خروجه من هَجَرَ لثلاث بقين من شهر رمضان ، وأطلق له من بيت مال الخاصة فيما ينصرف إلى علوفه بين واسط والكوفة ، فحمل ذلك إليه سلامة الطُّولونيَّ ، وأمر عليُّ بن عيسى عمَّال الكوفة بإعداد الميرة لابن أبي السَّاج .

وسار ابنُ أبي السَّاج من واسط طالباً الكوفة لليلةٍ بقيت من شهر رمضان .

وأطلق أبو طاهر القرمطيَّ أسارى الحاجَّ ، ووصل الكوفة ، فأخذ ما أُعِدَّ ليوسف وهو مائةُ كُرْدٍ قِيَّاقاً^(١) ، وألف كُرَّ شعيراً .

ووافى يوسفُ الكوفةَ بعد وصول أبي طاهر إليها بيوم ، وكان قد تقاربَ عسكرياً بن أبي السَّاج ، وعسكرُ أبي طاهرٍ في يوم ضبابٍ وأحسَّ به أبو طاهر وكَفَّ عنه ، فالتقوا يوم السبت لتسع خلَّون من شوال على

(١) الكرّ : مكيال لأهل العراق .

باب الكوفة ، فاحتقر ابنُ أبي الساج عسكرَ أبي طاهر ، وأزرى عليهم ،
وتقدّم يكتب كتابَ الفتح قبل اللقاء ، تهاونًا بأمره .

والتفت أبو طاهر إلى رفيق له ، وقد سمع صوت البوقات
والدباب ، وكانت عظيمة جدًا فقال : ما هذا الزَّجَلُ^(١) ؟ فقال له
صاحبه : فشل ، فقال : أجل .

وعبّا ابنُ أبي الساج رجاله ، وكان القتالُ من ضُحَى النَّهارِ إلى
غروب الشمس ، فثَبَّتَ يوسفُ ثباتًا حسنًا ، وجُرِحَ من أصحاب أبي
طاهر بالشُّبَابِ خَلْقٌ ، وكان أبو طاهر فى عمّارية مع مائتى فارس من
أصحابه ، فنَزَلَ حينئذٍ وركب ، فسار وحملَ بنفسه ، وحمل يوسف
بنفسه ، واشتَبَكَ الحَرْبُ ، فأَسِرَ يوسفُ بنُ أبي الساج بعد أن ضُرِبَ
على جنبه ضربة ، وقد اجتهد به أصحابه فى الانصراف فأبى ، وقُتِلَ من
أصحابه خَلْقٌ وانهزم الباقون .

وَحْمِلَ يوسف إلى عسكرِ أبي طاهر فضُرِبَ له خِيمة وفُرِشت ،
ووَكِّلَ به ، واستُدْعِيَ بطبيب يعرف بابن السَّبْعَى ليعالجه ، فقال : قد
جَمَدَ الدَّمُ على وجهه ، وأريد ماء حارًّا . قال : فلم أجِدْ عندهم ما
أسخن فيه الماء ، فغسله بالماء البارد وعالجه . قال الطبيب : وسألنى
يوسف عن اسمى وأهلى ، فأخبرته فوجدته بهم عارقًا أيام تقلده الكوفة ،
فعجبتُ من فهمه وقلةِ اكتراثه بما هو فيه .

(١) الزجل ، أى الصوت .

ولما وصل الخبر بغداد دخل الناس كآبةً عظيمة وعوّلوا على الانحدار إلى واسط .

ثم ورد الخبر بأنّ أبا طاهر رحل يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال ، قاصداً عين التمر ، فاستأجر على بن عيسى خمسمائة سميرية^(١) ، وجعل فيها ألف رجل ، وأنفذ الطيارات والشذات وحولها إلى الفرات وأقعد فيها الحجرية ، لمنع القرمطي من عبور الفرات ، وتقدم إلى القوادم بالمسير إلى الأنبار لحفظها .

فلما كان يوم الجمعة ، رأى أهل الأنبار خيل أبي طاهر مقبلة في الجانب الغربي ، فقطعوا الجسر ، وعبر أبو طاهر في مائة رجل ، ونشبت الحرب بينه وبين أصحاب السلطان ، وعقد الجسر وخالف سواد الذين في السفن إلى الجسر ، فأحرقوه ، فبقى أبو طاهر في الجانب الشرقي وعسكره وسواده في الغربي ، وحالت السفن بينهما .

وورد الخبر إلى بغداد بقتل أبي طاهر القوادم ، فخرج نصر الحاجب ، ومعه الحجرية والرجالة ومن بغداد من القوادم ، وبين يديه علم الخلافة ومعه أبو الهيجاء [عبد الله] بن حمدان وإخوته .

فاجتمع مع نصر ما يزيد على الأربعين ألف رجل ، فنزل على قنطرة

(١) السميرية : نوع من السفن وكذلك الشذات .

النهر المعروف بَرَبَارَا ، بناحية عقرقوف ، على فَرَسَخِينَ ، ولحق به موسى ، وأشار أبو الهيجاء على نصر الحاجب وعلى مؤنس بقطع نهر ربارا ، وألحَّ عليه في ذلك ، فلما رآه متثاقلاً عن قبول رأيه ، قال له : أيُّها الأستاذ اقطعها واقطع لحيتى معها ، فقطعها حينئذ .

وسار أبو طاهر ، ومَن معه من أصحابه في الجانب الشرقي من الفرات قاصدين نهر ربارا ، فلما صار على فرسخ واحد من عسكر السلطان آخر يوم الاثنين لعشر خلون من ذى القعدة بات موضعه .

وبكر المسير إلى القنطرة ، فوجدها مقطوعة ، وتقدَّم أحدُ رجاله أسودُ يقال له صُبْح ، فما زال النُّشاب يأخذه حتى صار كالقنفذ وهو مقدِّم ، فرأى القنطرة مقطوعةً فرجع .

ولما علم أصحاب أبي طاهر أن النهر لا يُخِض ، عادوا القهقري من غير أن يولُّوا ظهرهم ، وعادوا إلى الأنبار ولم يجسر أحدٌ على اتِّباعهم .

وكان الرأى فيما أشار به أبو الهيجاء من قطع القنطرة ، ولولاها لعبَر القرمطى غير مُستَهولٍ لجمع أصحاب السلطان .

وطمع مؤنس المظفر في سواده وتخليص ابن أبي الساج من أقياده ، فأنفذ بليق حاجبه وجماعة من القواد ، وستة آلاف من غلمان يوسف ، فبلغ ذلك أبا طاهر ، فانفرد من أصحابه ماشياً ، وعبر في زورقٍ صيَّاد ،

دفع إليه ألف دينار ، فاجتمع مع قومه فلم يثبت له بليق ، وبصر أبو طاهر بابن أبي الساج وقد خرج من الخيمة لما ناداه غلمانه ، فقال له القرمطى : طمعت فى تخليصهم لك ! وأمر به فضربت عنقه وأعناق مَنْ كان معه من الأسرى .

واحتال أبو طاهر فى عبور أصحابه من الجانب الشرقى إلى الجانب الغربى ، وكان مع أبى طاهر سبعمائة فارس وثمانمائة راجل .

وتقدم على بن عيسى إلى نازوك بالطواف ببغداد ليلاً ونهاراً ، لكثرة العيارين ، وأباح دم من ظهر منهم ، ونقل الناس أمتعتهم إلى منازلهم خوفاً منهم ، واكترى وجوه الناس السفن .

وقصد القرمطى هيت ، وبها هارون بن غريب وسعيد بن حمدان ، فقاتلا مَنْ علا سورها بالمنجنيقات ، بعد أن قتلوا من أصحابه عدة فسكنت نفوس مَنْ ببغداد . وتصدق المقتدر بمائة ألف درهم .

وبادر على بن عيسى إلى المقتدر بالله وقال له : إنما جمع الخلفاء الأموال ليُقسموا بها الأعداء ، ولم تلحق المسلمين مضرة كهذه من هذا الكافر الذى أوقع بالحاج سنة اثنتى عشرة وثلثمائة ، ولم يبق فى بيت مال الخاصة شىء ، فاتق الله يا أمير المؤمنين . وخاطب السيدة حتى تطلق ما عندها من مال ادخرته لشديدة ، فهذه أمها^(١) ، وإن لم يكن هناك شىء فالحق خراسان .

(١) أى أم الشدائد ؛ يريد تهويل الأمر .

فدخل إلى السيدة ، فأعطته خمسمائة ألف دينار ، وكان في بيت
مال الخاصة مثلها .

وأخبر عليّ بن عيسى ، بحال رجل شيرازيّ يكاتب القرمطيّ
وأتباعه ، فأحضره فأقرّ أنه من أصحابه ، لم يتبعه إلاّ لحقّ رآه معه وقال
له : لسنا كالرافضة الحمقى ، الذين يدعون إمامًا منتظرًا ، وإمامنا فلان
ابن فلان ابن إسماعيل بن جعفر ، فأمر به فحبس بعد الضرب ، فامتنع
في حبسه من الطعام والشراب فمات بعد ثلاثة أيام .
وكتب القرمطيّ إلى مؤنس كتابًا ، في آخره :

قولوا لمؤنسكم بالراح كن أنسًا
واستتبع الرّاح سرّنايا ومزمارا
وقد تمثلت عن شوق تقاذف بي
بيتًا من الشعر للماضين قد سارًا
« نَزُورُكُمْ لَا نُوَاخِذُكُمْ بِجَفْوَتِكُمْ
إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا لَمْ يُسْتَزَرَ رَارًا »
ولا نكون كأنتم في تخلفكم
من عالج الشّوق لم يستبعد الدار

وله أشعار كثيرة تركناها لشياعتها .

سنة ٣١٦ هـ :

دخل مؤنس المظفر بغداد ، وبعده نصر .

ونُدب مؤنس للخروج إلى الرقّة ، لما وصل الخبرُ باستيلاء القرمطيّ
على الرّحبة حرباً وقتله أهلها ورَهَبَت الأعراب أبا طاهر ، حتّى كانوا
يتطايرون عند سماع ذكره ، وجعل على كلّ بيت منهم ديناراً بعد أن
نهبهم .

وعاود القرمطيّ هيت ، فلم يقدر عليها ، فأتى الكوفة ، وجاء إلى
قصر ابن هبيرة^(١) فخرج إليه نصر ، فحمّ نصر حمى شديدة حادة ، فسار
مع ذلك إلى شورا وبينه وبين القرمطيّ نهرها ، واستخلف على الجيش
أحمد بن كيغنج ، وأنفذ معه الجيش .

وانصرف القرمطيّ من غير لقاء .

واشتدتّ علة نصر ، وجفّ لسانه من شدة الحمى ، فأعيد إلى
بغداد ، فمات في الطريق في عمارية^(٢) ، فأنفذ المقتدر على الجيش هارون
ابن غريب ، فدخل بهم بغداد .

(١) قصر ابن هبيرة ينسب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة .

(٢) العمارية : هودج يجلس فيه .

وأقام على بن عيسى حين رأى تنكراً الأمور على الاستعفاء من الوزارة، والمقتدر يجلبه ، ويستوقفه حتى أعفاه .

واستوزر المقتدر أبا على بن مقلّة ضرورة ، وذلك بمشورة نصر ، فلما كان فى النّصف من شهر ربيع الأول ، أنفذ المقتدر هارون بن غريب ، ومعه أبو جعفر بن شيرزاد للقبض على على بن عيسى ، فاستحيا هارون من لقائه بذلك ، فأنفذ أبا جعفر ، فوجده مستعداً قد لبس خفّاً وعمامة وطيلساناً ، واستصحب مصحفاً ومقراضاً ، وسأل هارون صيانة حرّمه ، ففعل وحمل مع أخيه أبى على إلى دار السلطان ، فاعتقله فى دار ريدان القهرمانة ، وكانت وزارته هذه سنة وأربعة أشهر ويومين .

سنة ٣٣٢ هـ :

ولليلة بقيت من شوال ، ورد الخبر بموت أبى طاهر سليمان بن الحسين الهجرى ، فالجُدريّ فى منزله بهجر ، فى شهر رمضان وصار الأمر لإخوته .

وكان ابن سبّر يُعَادى المعروف بأبى حفص الشريك ، وأحضر رجلاً أصبهانياً ، فكشف له دقائن وأسراراً ، كان أبو سعيد^(١) كشفها

(١) هو أبو سعيد الجنبى .

لابن سَنَبر وحده ، من غير أن يُعلم ابنه أبا طاهر بذلك ، وقال
الأصبهاني : امض إلى أبي طاهر^(١) ، وعرفه أن أباه كان يدعو إليك
وعرفه الأسرار .

فلما أتاه وخبره اعتقد صدقه ، وقام بين يديه وسلم الأمر إليه ،
فتمكن وقتل أبا حفص ، وكان إذا قال لأبي طاهر : إن فلاناً قد مرض ،
معناه شكّ في دينهم ، فطهره قتله أبو طاهر ولو كان أخوه . فخاف أبو
طاهر على نفسه منه ، وقال : قد وقع لى في أمره شبهة ، وليس بالرجل
الذى يعرف الضمائر ويحيى الأموات ، وقال : إن أمى عليلة ، وغطاها
بإزار ، فلما جاء إليها الأصبهاني قال : هذه عليلة لا تبرأ فطهروها ، أى
اقتلوا ، فجلست الأمّ ، فقال له أبو طاهر وإخوته : أنت كذاب وقتلوه .
وكان له سبعة من الوزراء أكبرهم ابن سنبر .

وكان لأبي طاهر أخوان ، أبو القاسم سعيد بن الحسن ، وأبو
العباس الفضل بن الحسن ، وكان أمرهم واحداً ، فكانوا إذا أرادوا حالاً
خرجوا إلى الصحراء ، واتَّفَقُوا على ما يعملون ، فإذا انصرفوا تَمَّموا ما
عولّوا عليه ، وكان لهم أخ متشاغل باللذات ، لا يدخل معهم في
أمرهم .

(١) هو سليمان بن الحسن بن أبي طاهر القرمطى أيضاً .

وفى هذه السنة تُوفّي أبو عبد الله البريدى ، بحمى حادة ، مكثت به سبعة أيام ، وكان بين قتله لأخيه وبين موته ثمانية أشهر .

سنة ٣٣٩ هـ :

فى هذه السنة ، ردّ القرامطة الحجر الأسود إلى مكة ، وكان بجكم قد بذل لهم إن ردّوه خمسين ألف دينار ، فلم يُجيبوه ، وكان بين قلعه ورده اثنتان وعشرون سنة .

وفى هذه السنة ، كانت وزارة أبى محمد الحسن بن محمد بن هارون المهلبى لمعز الدولة ، خلع عليه معز الدولة القباء والسيف والمنطقة ، وسار سبكتكين بين يديه إلى دار الخلافة ، فخلع عليه السواد والسيف والمنطقة .

سنة ٣٥٣ هـ :

استهدى القرامطة فى هذه السنة من سيف الدولة حديداً ، فقلع أبواب الرقة ، وسدّ مكانها ، وأخذ كل حديد بديار مضر حتى صنجات البقالين والباعة ، وأحدوه فى الفرات إلى هيت وحملوه منها إلى البرية .

سنة ٣٦٥ هـ :

تُوفّي المعز بمصر ، فى شهر ربيع الآخر ، سنة خمس وستين ، ومدة عمره خمس وأربعون سنة وسبعة أشهر ويومان ، ومدة نظره ثلاث

وعشرون سنة وخمسة أشهر وسبعة عشر يوماً ، منها بمصر ثلاث سنين .
وقام ابنه نزار مقامه ، ولقب بالعزيز ، فكاتب الفتيكين بالاستمالة ،
فأغلظ في جوابه ، وقال : هذا بلد أخذته بالسيف ، ولا أدين لأحد فيه
بطاعة . فأنفذ إليه جوهرًا في عساكر كثيرة ، فدعا أهل البلد وأعلمه ما
قد أضلّهم ، وأنه على مفارقتهم ، فقالوا : إن أرواحنا دونك ، وإنا
باذلون نفوسنا دون نفسك .

ولما حصل جوهر بالرملة^(١) ، كاتب الفتيكين ، وعرفه أنه قد
استصحب له أمانًا ، وكتابًا بالعفو عما فرط فيه ، وخلعًا يفيضها عليه ،
وأموالًا ، فأجابه الفتيكين إجابة مغالط ، وأحال على أهل دمشق فعل
جوهر على الحرب ، وسار إليه ، فالتقيا بالشماسية^(٢) ، ودامت الحرب
واتصلت مدة شهرين ، وظهر من شجاعة الفتيكين وغلماؤه ، ما عظموا به
في النفوس .

وعاضد الفتيكين الحسن بن أحمد القرمطي ، واجتمعوا في خمسين
ألفًا ، فأنصرف جوهر إلى طبرية ، ومنها إلى عسقلان ، فحاصراه بها ،
وقطعًا عنه الماء .

وكان جوهر في الشجاعة معروفًا ، فكان يبارر الفتيكين ، ويعرض

(١) الرملة : مدينة بفلسطين وكانت قصبتها .

(٢) الشماسية : محلة بدمشق .

عليه الطاعة لصاحبه ، فيكاد أن يجيبه فيعترضهما القرمطى ، فلا يمكّن
الفتكين من ذلك .

فاجتمعا يوماً ، فقال جوهر : قد علمت ما يجمعنى وإياك من
تعظيم الدين ، وقد طالت الفتنه ، ودماء من هلك فى رقابنا ، وإن لم
تُجِبْ إلى الطاعة ، فأسألك أن تمنّ علىّ بنفسى وبأصحابى وتدمّ لنا ،
وتكون قد جمعت بين حقن الدماء واصطناع المعروف ، فقال الفتكين :
أنا أفعل ، على أن أعلّق سيفى ورمح القرمطى ، على باب عسقلان ،
وتخرج من تحتهما ، قال : رضيت وأخذ خاتم الفتكين على الوفاء .

وأنفذ إليه جوهر مالا والطاقا ، فاجتهد القرمطى بالفتكين أن
يغدر ، فلم يفعل فخرج وخرج جوهر وشرح لصاحبه الحال ، فأمر
بإخراج المال ، وإثبات الرجال ، وسار جوهر على مقدمته ، واستصحب
توابيت آباءه .

ولما عرف الفتكين ، والقرمطى الحال ، عاد إلى الرملة واحتشد ،
وتقارب العسكران ، واصطفّا للقتال ، وجال الفتكين بين الصفين ، فكبر
وحمل وطعن وضرب .

فعلا العزيز على رابية ، وعلى رأسه المظلة ، وقال لجوهر : أرنى
الفتكين ، فأراه إياه ، وكان على فرسٍ أدهم بتجفاف من مرايا ، وعليه
فزعند ، أصفر وهو يطعن تارة ، ويضرب باللت أخرى ، والناس
يتحامونه .

فالتفت العزيز إلى ركابي^(١) يختصّ به ، وقال له : امض إلى
الفتكين وقل له : أنا العزيز ، وقد أخرجتني من سرير ملكي ،
وأخرجتني لمباشرة الحرب ، وأنا أسامحك بجميع ذلك ، ولك على عهد
الله ، بأنني أهب لك الشام بأسره ، وأجعلك أسلها^(٢) عسكري .

فمضى الركابي وأعاد الرسالة ، فخرج الفتكين ، بحيث يراه الناس ،
وترجّل وقبّل الأرض مراراً ، ومرّغ خديه ، وقال : قل لمولانا ، لو تقدّم
القول لسارعتُ ، فأما الآن فليس إلا ما ترى .

فعاد إلى العزيز بالجواب ، فقال : ارجع إليه وقل له : تقرّب مني
بحيث أراك وتراني ، فإن استحققتُ أن تضرب وجهي بالسيف فافعل .
فمضى ، فقال الفتكين : ما كنتُ بالذي أشاهد طلعتة وأنا بذه
الحرب ، وقد خرج الأمر عن يدي .

وحمل عند ذلك على الميسرة فهزّمها ، وقتل كثيراً من أهلها ،
فحمل العزيز ، والمظلة على رأسه ، فانهزم الفتكين والقرمطي ، ووضع
السيف في عسكرهما ، فقتل منه عشرين ألف رجل .
ومضى القرمطي هارباً ، وبذل لمن يأتيه بالفتكين مائة ألف دينار .

(١) ركابي : من يستعان به في الركوب .

(٢) وظيفة عندهم .

وكان الفتكين يميل إلى المفرج بن دغقل بن الجراح الطائي ، وبتمردّه لملاحظته ، وشاع ذلك عنه ، فانهزم يطلبُ ساحل البحر ، ومعه ثلاثة من غلمانِه ، وبه جراح ، وقد جهّده العطش ، فلقيته سرية فيها المفرج ، فلمّا رآه ، التمس منه ماء ، فسقاه ، وقال له : سيّرني إلى أهلك ، فحمله إلى قرية تعرف بلبني ، وأحضر له ماء وفاكهة ، ووكل به جماعة ، وبادر إلى العزيز فأخبره ، فأعطاه المال الذي ضمّنه ، ومضى معه جوهر فتسلّمه .

وتقدّم بضرب مضارب ، وأحضر كلّ مَنْ حصل في الأسر من أصحاب الفتكين ، فأمنّهم وكساهم ، وجعل كلّ واحد منهم فيما كان فيه ، ووصل الفتكين فأخرج العسكر لاستقباله ، وهو لا يشكّ أنه مقتول .

فلمّا وصل إلى النوبة ، ورأى أصحابه مكّرمين ، وترجّل الناس له ، وحُمِل إلى دست قد نُصب ليجلس فيه رمى بنفسه إلى الأرض ، وألقى عمامته ، وعقر وبكى بكاء شديداً ، وقال : لم استحققتُ هذا الإبقاء ! وامتنع من الجلوس في الدّست .

ووافاه أمينُ الدولة أبو الحسن بن عمّار ، وجوهر والخدم على أيديهم الثياب ، وأعلموه رضا العزيز عنه ، وألبسوه الخلع ، وتقدّم إلى الباربار به وأصحاب الجوارح بالمصير إلى مضربه ، وراسله بالركوب إلى الصيد تأنيساً له ، وقاد إليه عدّة دوابّ ، وعاد عشاء ، واستقبله الفرّاشون

والنّفّاطون بالمشاعل ، ونزل وركب العزيز إليه ليلا ، فقبّل الأرض
وخاطبه بما سكن منه ، وجعله حاجب حُجّابه .

وعفا عن الحسن بن أحمد القرمطيّ ، وأقام بطبرية ، وجعل له
سبعين ألف دينار في كلّ سنة ، وتوجّه إليه جوهر ، وقاضى الرّملة
فاستخلفاه .

ومضى الفتكين مع العزيز إلى مصر ، وقد استأمن إليه أخو عزّ
الدولة وابنه ، فزاد في إكرام الفتكين .

وكان يتكبر على أبي الفرج يعقوب بن يوسف بن كلّس ، وتدرّجت
الوحشة ، وأمرهما العزيز بالإصلاح ، فلم يفعل الفتكين ، فدسّ عليه
أبو الفرج سمّا فقتله ، وحزّن عليه العزيز ، وقبض على أبي الفرج ،
وقد اتّهمه بقتله نيّقا وأربعين يوما ، وأخذ منه خمسمائة ألف دينار ،
ووقفت الأمور باعتزاله الظر ، فأعاده حين لم يجد منه بُدّا .

وتزوّج الطائع بنتَ عزّ الدولة على صداق مائة ألف دينار ، وخطب
أبو بكر ابن قريعة خطبة النّكاح .

وفى ذى القعدة تُوفّيَ أبو الحسن ثابت بن سنان بن قصرة الصّابيّ
صاحب التاريخ .

وقسمّ ركن الدولة الممالك بين أولاده ، فجعل لعضد الدولة فارس

وَكِرْمَانِ وَأَرْجَانِ ، وَلْمُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ الرَّيِّ وَأَصْبَهَانَ ، وَلْفَخْرِ الدَّوْلَةِ هَمْدَانَ
وَالدِّينُورِ .

وَمَرِيضِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، فَسَارِ إِلَيْهِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَقَبْلِ الْأَرْضِ بَيْنَ
يَدَيْهِ ، وَالتَّقِيَا بِأَصْبَهَانَ ، وَعَمَلِ ابْنِ الْعَمِيدِ دَعْوَةً ، جَمَعَ فِيهَا رُكْنَ
الدَّوْلَةِ وَأَوْلَادَهُ الْأُمَرَاءَ ، وَخَاطَبَهُمْ رُكْنُ الدَّوْلَةِ ، بِأَنْ عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَلِيُّ
عَهْدِهِ ، وَخَلَعَ ابْنَ الْعَمِيدِ عَلَى الْقَوَادِ أَلْفَ قَبَاءٍ وَأَلْفَ كِسَاءٍ .

وَأَخَذَ عِزَّ الدَّوْلَةِ لِسَهْلَانَ بْنِ مَسَافِرٍ خَلَعًا مِنَ الطَّائِعِ ، وَلَقَّبَهُ عَنْهُ
عَصْمَةَ الدَّوْلَةِ وَأَنْفَذَهَا لَهُ .

وَأَنْفَذَ إِلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ مِثْلَهَا ، فَلَمْ يَلْبَسْهَا ، وَلَمْ يَتَلَقَّبْ سَهْلَانَ
مِرَاقِبَةً لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ .

سنة ٣٦٧ هـ:

فِي صَفَرٍ وَرَدَ الْخَبَرُ إِلَى الْكُوفَةِ بِوَفَاةِ أَبِي يَعْقُوبَ يَوْسُفَ بْنِ الْحَسَنِ
الْجَنَابِيِّ صَاحِبِ هَجَرَ ، فَأَغْلَقُوا أَسْوَاقَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، إِجْلَالًا لِمَصِيبَتِهِ ،
وَمَوْلَدِهِ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَعَقَدُوا الْأَمْرَ لِسِتَّةِ نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ،
أَشْرَكَوْا فِي الْأَمْرِ ، وَسُمُّوا السَّادَةِ .

رقم الإيداع: ٩٦٤٢ / ١٩٩٩

I.S.B.N 977 - 01 - 6242 - 6
